المبنى الذي تقطن فيه

م . زايد المرزوقي

المبنى الذي تقطن فيه

ملهمون
MOLHIMON للنشر والتوزيع

الكتاب: المبنى الذي تقطن فيه
المؤلف: م . زايد المرزوقي
التصنيف: رواية
الناشر: دار ملهمون للنشر والتوزيع
التصنيف العمري: E
الطبعة الأولى: يناير 2024

تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقًا لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام.

الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: **ISBN:**
إذن طباعة: **MC-**

جميع حقوق الطبع و إعادة الطبع والنشر والتوزيع محفوظة لملهمون للنشر والتوزيع، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من ملهمون للنشر والتوزيع.

الطباعة: AL MASAR PRINTING

darmolhimon
www.darmolhimon.com
0097165551184

SILICON OASIS, 20TH FLOOR (SIT TOWER) - OFFICE 2004, Dubai, UAE

الإهداء

إلى القريب الذي ظننته قريباً،
وإلى الغريب الذي كان أقرب إليّ من القريب.

إهداء آخر

إلى المعنى،
والحقيقة،
وإلي.

المقدمة

لم تكن الرواية تحمل هذا العنوان «المبنى الذي تقطن فيه» بل كانت طوال فترة الكتابة تحمل عنواناً مسوداً وهو «إثم» ، أردت استبداله بغيره لكن لم أجد شيئاً آخراً إلى أن وصلت إلى الفصول الأخيرة، حينها شعرت بأن العنوان الحالي يتحدث إلي ويظهر ما بين السطور وعلمت تماماً بأن «المبنى الذي تقطن فيه» هو عنواناً ليس فقط مناسباً للرواية وإنما أيضاً مناسباً للمرحلة التي وجدتني بها أتنقل وأعيش في مرحلة عصيبة مع الشخصيات التي سرقتني منذ نوفمبر 2020 حتى طلوعها.

أما إثم تركته دون تغيير لشهور طويلة ودون أن أرغم ذاتي على البحث عن عنوان غيره، كان بمثابة تذكير لي بمعنى هذا العمل المليء بالشخصيات التي تحمل آثاماً قد تُغتفر وأخرى يُصعب ذلك، قد تكون بسبب حجم الدمار الذي خلفته تلك الآثام أو قد تكون بسبب قلوب الناس التي أكثرها أصبحت قاسية كالحجارة في زمننا هذا، في كلتا الحالتين نحن نعلم تماماً بداخل قلوبنا من هم الذي يستحقون المغفرة. أردت

أن أتجول في طرقات هذا الفعل المشين، وددت أن أعرف ما الذي يدفع الناس إلى اقتراف إثم ما وتلك الآثار المترتبة عليه، وإلى أي مدى يمكن للإنسان أن يصل في حال اقتراف أحد ما إثماً تجاهه. هل تستطيع أن تغفر لشخص ارتكب إثماً تجاهك أو أنك سوف ترد عليه الصاع بصاعين كما يُقال؟ وان كنت أنت من اقترف إثماً ما لسببٍ ما أنت تعرفه وحدك، فهل سوف تُبرر سبب ارتكابك ما ارتكبته؟ أم أنك ستُباشر حياتك كما هي دون مبالاة منك تجاه ذاك الفعل السيء؟

في مدينة ما نجد شخصيات مختلفة ذات آثام مختلفة، نتنقل مع كل من مادلين، ماكس، وشيلسي من مبنىً إلى آخر، شقة إلى أخرى، من نافذة إلى أخرى لنعيش تقلباتٍ وصراعات توقف أنفاسنا. نبحث عن المعنى والحقيقة من خلال الأشخاص الذين هم حولنا كإبرة في كومة قش، لن تستطيع إيجادها إلا إن أحرقت كل شيء حولك. لكن هل تستطيع أن تعيش مع الدمار الذي خلفته بعد إيجاد المعنى ومعرفة الحقيقة؟

أترككم مع هذه الشخصيات التي شتتني والتي من خلالها وجدت صعوبة في تصديق أيٍّ منها، كذلك أصابتني بحالة نفورٍ منها، لكن النهاية جعلتني أتوقف وأعيد النظر إليها. لأنني أنا أيضاً وجدت المعنى والحقيقة بعد أن رفعت رأسي ورأيت بأني قد أتلفت كل ما هو حولي، ومن هنا أصبحت وحيداً لا أحد يود أن يتجرأ ويقترب مني، كالبداية كنت لا شيء وأصبحت لا شيء وقد أظل هكذا.

لماذا نظن بأننا نستحق تلك المشاعر
التي تأتي مع الندم؟

مادلين

(1)

11\23

بعد مرور عدة أيام على عدم رؤيتها وانبعاث رائحة شبه نتنة منها، طُرقات على الباب تُسمع من قبل أثاث وغرف وممرات تلك الشقة عدا أيِّ إنسي، تُسمع الطرقات من قبل الجماد دون أي إجابة أو ردٍّ منها. قالت جارتها مادلين في ذاتها: «لعلها ذهبت إلى ابنها في إجازة ونسيت إخراج القمامة من شقتها، أو ربما طعاماً ما قد عفن.»

عادت مادلين إلى شقتها، بحثت عن الدفتر الذي تكتب فيه أرقام الهواتف الذي تحتفظ به منذ سنين طويلة وبه أرقاماً أكثرها لم تعد تعمل وليست ملكاً لأصحابها المسجلين على أوراق الدفتر التي أصبح بعضها قاسياً وأخرى شبه طرية كالصلصال الذي يلعب به الأطفال. في الأدراج تبحث عنه في الصالة ولا تجده، تذهب إلى غرفة نومها وتبدأ بالبحث هناك دون فائدة أيضاً، خرجت

من غرفتها متوجهة إلى الصالة وتوقفت في منتصف الممر واضعة يدها على رأسها في محاولة منها لتذكر أين قد وضعت ذلك الدفتر الذي لم تحتج له ولم تستعمله منذ وقت طويل وقد تجاوز الأمر أشهراً من الزمن، حركت رأسها وتركت الأمر وقررت متابعة يومها البسيط.

مادلين امرأة جميلة بالرغم من سنها الذي تجاوز الستين بسنة واحدة، تهتم بمظهرها كثيراً ليس فقط بمساحيق التجميل والملابس، بل بممارستها للرياضة بشكلٍ شبه يومي وتناول الأطعمة العضوية غالباً، تعيش وحيدة بعد موت زوجها وابنتها قبل أكثر من خمسة وعشرون عاماً في حادث سيارة بعد أن شرب الأب ثلاث كؤوس لكنه لم يصل لحد الثمالة إلا أن تلك الكؤوس جعلته ليس بكامل رشده، بذلك خرجت سيارته من مساره إلى المسار الآخر الذي هو عكس السير فاصطدم بشاحنة كانت في ذلك المسار العكسي. ارتدت مادلين سروالاً ضيقاً قابل للمط بلون الدم الداكن، قميصاً أبيضاً ضيقاً أيضاً بأكوام طويلة وفتحة لإصبعي الإبهام، فوقه سترة بنفس لون السروال، لملمت شعرها الأشقر الذي يُصبغ بين الفينة والأخرى كي لا يظهر اللون الرمادي وربطته بالخلف، تناولت قبعة بيضاء ووضعتها على رأسها وأخرجت شعرها من الفتحة الخلفية للقبعة، ارتدت حذاءً رياضياً باللون الأبيض وخرجت لممارسة العدو كالمعتاد في هذا الوقت المبكر من اليوم. هي قريبة من جارتها كلير، تتحدثان كل يوم عندما تتصادفان في المرر، وتختاران يوماً

في نهاية الأسبوع للتجمع في شقة احداهن للحديث وشرب النبيذ الأحمر، سنيناً طويلة وهنَّ على هذا الروتين الذي لا يكاد أن يتغير إلا لظرفٍ خارج عن سيطرتهما.

تسكنان في مبنى يتكون من أربعة طوابق بالإضافة إلى الدور الأرضي والقبو، في كلِّ طابق توجد أربعة شقق فقط كي تبقى مساحات الشقق واسعة لأصحابها، عدا الطابق الأخير الذي يحتوي على شقتين، يقع هذا المبنى على أطراف وسط المدينة وفي هذه الأوقات من السنة تكون درجات الحرارة منخفضة ولا تزيد عن العشرة درجات إلا بدرجة أو درجتين في منتصف اليوم وبعد ذلك بقليل، ومع مرور الأيام والأسابيع تنخفض حتى تصل إلى ما دون الصفر. فتحت مادلين باب المبنى واستقبلتها نسمة هواءٍ باردة جعلت جسدها يرتعش، قربت يديها إلى شفتيها ونفخت فيهما مرتين، نزلت من الدرجات حتى أصبحت على الرصيف، رفعت رأسها لتلقي نظرة على نوافذ شقة صديقتها كلير علها تلاحظها لكن لم تشاهدها، عادت نظرها إلى طريقها وبدأت بالمشي باتجاه الحديقة التي أمام مبناهم، ما أن وصلت لمدخلها حتى بدأت بالجري في مسارها المعتاد.

أكملت ساعة من الزمن وهي تمارس عدوها الصباحي، تجري قليلاً من ثم تهرول فتمشي وتعاود الجري، عادةً لا تتوقف إلا بعد مرور نحو ساعتين، هذه المرة أوقفتها زخات المطر التي كانت تسقط محذرة البشر بأنها سوف تنهمر بغزارة وعليهم الاحتماء كي لا يتبللوا، توقفت مادلين

ورفعت رأسها نحو السحاب الداكن وأخذت نفساً عميقاً وهي تبتسم، رفعت أيضاً ذراعيها بجانبها لتصبح كفتا اليد نحو الأعلى باتجاه السماء أيضاً. بدأ يزداد المطر خلال بضع دقائق فقط، دقيقتين لا أكثر. مسحت وجهها وقررت العودة إلى شقتها قبل أن تبلل نفسها وربما تمرض بسبب الأجواء الباردة.

عادت وهي مبللة بعد عشر دقائق من الجري المتواصل، جسدها يهتز من البرد، فتحت باب الشقة وأدارت مفاتيح الحرارة التي على الجدران بجانب الباب كي ترفع حرارة الشقة ويُنزع البرد عنها، خلعت حذائها وجوربها، السترة أيضاً والسروال ورمتهما بجانب الباب، تناولت معطفاً من الفرو ذات اللون البني كان معلقاً بجانب الباب مع معطف آخر ذات اللون الأسود وحقيبتها اليومية وغطت به جسدها، تحركت سريعاً ناحية الحمام، أدارت صنبور الماء ليخرج متدفقاً مع بخاره الذي يدل على حرارته، رمت المعطف على كرسي دائري من الجلد الأبيض قرب باب الحمام وخلعت ما كانت ترتدي ووقفت تحت الماء الدافئ المنهمر عليها، أغلقت عينها وهي تشعر بسلام والماء يجري على بشرتها ويأخذ معه البرد كأنه قذارة التصق على جسدها لينساب نحو الأسفل بعيداً عن جسدها.

لا تعلم كم هي المدة التي بقت فيها تحت المياه الدافئة، فمشاعر السكينة جعلتها تغمض عينيها وتسرح بعيدها عن نفسها، عادت إلى ذاتها وأفاقت من عالمها

بعد أن سمعت ضوضاء خارج شقتها، بالرغم من أن الحمام بداخل غرفتها وبابه مغلق إلا أن الأصوات كانت عالية جداً كأنها تود أن تفيق من هو نائم حتى دون أي مبالاة بحقوق الجار وحقوق الشقق، تأففت مادلين وظنت بأنهم مجموعة من المراهقين الذي يسكنون بالطابق الأعلى برفقة ذويهم وقد جلبوا أصدقائهم وبدلاً من أي يستخدموا المصعد للطلوع أخذوا الدرج ولهذا الأصوات مزعجة، لم تبالي في البداية لظنها بأن الأصوات سوف تنعدم بعد مدة بسيطة لكن الأمر هذا لم يحدث وظلت كما هي بل تعلو بضع درجات وتعاود انخفاضها إلى ما كانت عليه في البداية.

تأففت مرةً أخرى وفتحت الباب الزجاجي الشفاف لغرفة الاستحمام وبمجرد ما أن وجد البخار وسيلة للهروب حتى خرجت وانتشر في الحمام، تناولت منشفة بيضاء ولفتها حول جسدها، وتناولت أخرى صغيرة جففت بها شعرها سريعاً بعد أن أمالت برأسها نحو الأمام، بعد ذلك تحركت خارجة من الحمام وهي ترتدي ثوب الاستحمام الثقيل ليحميها من الأجواء الباردة نحو باب شقتها والأصوات بدأت تعلو أكثر وأكثر وهي تقترب ناحية مدخل شقتها، أطلعت من خلال الفتحة الموجودة على الباب لترى ما سبب هذه الضوضاء التي أخرجتها من الاستحمام. تفاجأت بعدد رجال الشرطة الموجودين في المرر بالخارج وأغلقت تلك الفتحة سريعاً بقطعة حديدية دائرية بحجم الفتحة بعد أن انتبه لها امرأة من الشرطة كانت واقفةً

مقابل الباب تماماً برفقة اثنين آخرين، واستدارت بجسدها ليلتصق ظهرها في الباب وهي تتساءل في نفسها: «هل رأتني بالفعل أم أني أتوهم ذلك؟»

لم تمض ثوانٍ حتى سمعت طرقات على الباب وصوت تلك المرأة من الشرطة يقول: «هنا الشرطة، إن كان هناك أحد في الداخل فافتح الباب.»

كادت أن تشتم مادلين بصوت مسموع لكنها تداركت الأمر وشتمت دون أن تصدر صوتاً، استدارت مرة أخرى ليصبح الباب أمامها، أخذت نفساً عميقاً وهي تضع يدها على مقبض الباب، تفكر هل تعود للداخل أم تفتحه لهم، لحظات مرت وإذا بها تفتح الباب لتنهي المسألة سريعاً حتى تعود إلى يومها.

قالت مادلين للشرطية: «أهلاً، كيف يمكنني مساعدتكِ؟»

أجابت: «أدعى الضابط شيلسي من الشرطة، هل تعرفين السيدة كلير؟»

قالت مادلين: «نعم، فهي جارتي إن كنتِ تقصدينها.»

سألتها الضابط: «متى آخر مرة شاهدتها؟»

أجابت مادلين: «لا أعلم في الحقيقة، ربما يومين أو ثلاثة أيام ليس أكثر.»

قالت الضابط وملامحها لا تزال كما هي منذ البداية، لا شيء تستطيع قراءته من تعابير وجهها: «حسناً إذا، شكراً لكِ على وقتكِ السيدة...»

أجابت: «مادلين، أدعى مادلين.»

قالت الضابط: «شكراً على وقتكِ السيدة مادلين وإن احتجناكِ لشيء فسوف نتواصل معكِ.»

سألت سريعاً: «ما الذي يحدث؟ ماذا حصل كلير؟»

وقبل أن تجيب الضابط عليها، إذا بعربة كتلك التي توجد في سيارات الإسعاف وتحمل المصابين تخرج من شقة كلير وفوق تلك العربة غطاءً أبيض اللون يستر شيئاً تحته، شيئاً يشبه جسد شخصٍ ما.

اقشعر جسد مادلين وبالكاد استطاعت تمالك نفسها، تقدمت بخطواتها دون أن تبالي بالضابط التي تحدثها وتقول لها: «الرجاء السيدة مادلين عودي إلى شقتكِ...» لكن هذا الصوت وكل الأصوات أصبحت كأنها خلفية لمشهدٍ رئيسي ومن ثم تتلاشى شيئاً فشيئاً حتى تنعدم، لا يوجد صوتٌ أساسي تسمعه مادلين الآن سوى دقات قلبها التي أصبحت أعلى من أصواتهم جميعاً وصداعٍ كمن هناك يقرع طبولاً بداخل رأسها، صدرها يعلو ويهبطُ بوضوح وهي تتنفس، تقترب من العربة دون أن يمنعها أحد من رجال الشرطة الموجودين وحتى رجال الإسعاف.

تشير بيدها مادلين نحو العربة التي أصبحت قرابة البضع سنتيمترات منها قائلة: «من هذا على العربة؟»

تقدم رجلاً من الشرطة ناحيتها قائلاً: «سيدتي عودي إلى الشقة رجاءً.»

قالت مادلين: «لن أعود إلى شقتي قبل أن أعرف هذه الجثة التي خرجت من شقة صديقتي الحميمة كلير تعود

لمن.»

قالت الضابط شيلسي: «أيها الضابط جون دعها تقترب، فنحن نريد أيضاً أن نتأكد من هويتها.»

قالت مادلين: «عن هوية من تتحدثون؟»

قالت الضابط شيلسي: «سمعت للتو بأنك صديقة حميمة للسيدة كلير، ونود أن نتأكد من أن هذه الجثة هي بالفعل هي.»

وضعت مادلين يدها على فمها وهي تنظر إلى الضابط حابسة دموعها ليس بإرادتها وإنما من هول الصدمة التي هي بها الآن وقالت: «صديقتي كلير ماتت؟»

أجابت الضابط شيلسي: «نعم، نظن ذلك ونريد أحداً يثبت هويتها ويتعرف عليها من خلال النظر إلى الجثة، وبما أنكِ قريبة منها فبإمكانك النظر إليها إذا أردتِ ذلك، فلن نجبركِ على فعل شيء لا تودينه. لكن عليكِ أن تعرفي بأن هذا الأمر سوف يسرع علينا العملية.»

تنظر مادلين بصمت للشرطية، وعادت بنظرها إلى الجثة الموجودة على العربة المغطاة بهذا الشرشف الأبيض الذي لا يحمي الجسد من البرد، تنظر إلى الجثة وهي تتذكر تفاصيل كلير كلها، ابتسامتها وضحكتها العالية التي تجعلها تضحك ما أن تسمعها، عيناها كزرقة المحيط، شعرها الأشقر كأنه جزءاً من أشعة الشمس، تذكرت تفاصيلها وهي تنظر إلى الجثة التي تتمنى أن تعود لشخصٍ آخر وليس لها.

وضعت الضابط شيلسي يدها على ذراع مادلين وقالت: «السيدة مادلين، هل تستطيعين إلقاء نظرة على الجثة؟»

أومأت برأسها وقالت متأتأة: «...نعـ... نعم... نعم أستطيع.»

قالت الضابط شيلسي: «حسناً إذا، اقتربي أكثر السيدة مادلين لنكشف عن الوجه.»

تخرج نفسها على دفعات دون أن تشعر بنفسها، تتقدم خطوة وتقف لفترة، فتتقدم من جديد حتى وصلت إلى العربة وهي بالكاد تستطيع الوقوف على قدميها، تعلم بأنهما سوفا يخوناها في أي لحظة من الآن، تشعر بالصداع من الموقف الذي هي فيه وأيضاً بسبب شعرها المبلل الذي لم تجففه تماماً في هذا الجو البارد خارج شقتها دون وجود أي مصدر للتدفئة، لكنها لا تبالي لصداعها ولا حتى لتنفسها الذي أصبح عشوائياً وأغرب من الحالة الذي يكون فيها عندما تجري صباحاً.

وقفت بجانبها الضابط شيلسي أمامهما العربة وقالت: «السيدة مادلين، هل أنت مستعدة؟»

أومأت برأسها مرةً واحدة وهي تغلق عينها قائلة بصوت منخفض لكن الجميع قد سمعها بسبب السكون الذي استولى على المكان: «نعم... مستعدة.»

أمرت الضابط شيلسي أحد رجال الإسعاف بالكشف عن وجه الجثة، وما أن أزاحت يد الرجل تلك الطبقة البيضاء الخفيفة من الوجه حتى هربت دمعة من عين

مادليـن، تمالكـت نفسـها حتـى لا تسـقط دموعـاً أخـرى وعضـت علـى شـفتيها الاثنتيـن بقـوة كـي تشـعر بالألـم الجسـدي لا النفسـي. شـاهدت وجـه صديقتهـا كليـر فـوق طبقـة سـوداء كالفـراش علـى تلـك العربـة، وجههـا كان أبيضاً، وبالرغـم مـن أنهـا تمتـاز ببشـرتها البيضـاء واحمـرار وجنتيهـا دومـاً إلا أن بياضهـا هنـا مختلـف وجعلهـا أكثـر جمـالاً بشـكلٍ مخيـف مـع شـعرها الأشـقر واختفـاء الاحمـرار مـن وجنتيهـا، عيناهـا مغلقتيـن كأنهـا نائمـة وليسـت انسـاناً قـد توقـف قلبـه عـن النبـض ولـن يسـتيقظ مـرةً أخـرى ليـرى الحيـاة.

أخرجـت الهـواء مـن فمهـا بعـد أن حبسـت أنفاسـها لا شعورياً قائلة: «انها هي، هذه صديقتي كلير.»

(2)

قالت الضابط شيلسي: «شكراً لك السيدة مادلين على التعاون، فقد أصبح الأمر سهلاً علينا ولا داعي لأن نبحث عن قريبٍ لها للتأكد من هويتها.»

قالت مادلين: «كيف ماتت؟»

أجابت الضابط: «لا نستطيع التوصل إلى الحقيقة كاملة إلا بعد دراسة الجثة وتشريحها.»

قالت مادلين واضعة يدها على فمها: «هل هذا يعني بأنها قُتلت؟»

أجابت الضابط: «كما قُلت لكِ السيدة مادلين، بعد تشريح الجثة سنعرف كافة التفاصيل وما هو سبب موتها.»

قالت مادلين والإصرار واضحٌ من نبرتها: «كلير كانت صديقتي منذ سنين طويلة، وجارتي، أرجوكِ أخبريني كيف ماتت على الأقل وما هو تحليلكم الأول؟»

أجابت الضابط: «ليس لدي الكثير لأقوله سوا بأن

هنالك علامات على رقبتها وكدماتٍ على رأسها قد سببت لها نزيفاً وهذا يعني بأنها لربما خُنقت من قبل شخصٍ ما وضُربت عدة مرات على رأسها، على الأرجح كانت ضربات الرأس من المفترض أن تقتلها لكن من فعل ذلك رأى بأنها لا تزال على قيد الحياة فقرر خنقها، لكن لا نعلم حتى الآن ما هو السبب الحقيقي للوفاة، فعلينا دراسة مكان الجريمة ودراسة الجثة، فالفوضة عارمة جدا بالداخل، والرائحة كريهة بسبب الأطعمة المبعثرة. سأتوقف هنا السيدة مادلين، لا أستطيع قول المزيد.»

قالت مادلين وهي تشعر بأن عظام رجليها قد تتفتتا إذا تحركت حركة واحدة وتسقط أرضاً: «شكراً لك الضابط شيلسي، أرجوكِ أعلميني بأي مستجدات.»

قالت الضابط: «على الرحب والسعة، سوف نبقى على اتصال معكِ ان كان لدينا المزيد من الأسئلة، فسوف تأتين إلى مركز الشرطة.»

قالت مادلين بهدوء: «يسعدني المشاركة في الكشف عن القاتل.»

التفتت للخلف مادلين عائدة إلى شقتها وقلبها محطماً إلى أجزاءٍ صغيرة يُصعب إعادتها وإرجاعها إلى حالته الأصلية، فقد فقدت جارتها، أعز صديقاتها، وليس هذا فقط، بل شاهدتها وهي ميتة على العربة، جثتها وهي مغمضة العينين كأنها نائمة، ليست ميتةً طبيعية وانما مقتولة.

قالت لها الضابط شيلسي قبل أن تختفي مادلين من مسرح الجريمة: «السيدة مادلين، هل لي بأن أسألك سؤالاً سريعاً قبل ذهابك؟»

توقفت عن المشي مادلين وقالت لها وهي تلتفت باتجاهها: «نعم، تفضلي.»

سألتها الضابط: «هل هناك أقارب لها؟»

أجابت مادلين: «نعم لديها ابن يدعى ماكس.»

سألتها سؤالاً آخراً: «هل تعرفين إن كان هنالك شخص قد يود أن يضر السيدة كلير ولأي سبب من الأسباب ولو كان بسيطاً؟»

أجابت مادلين: «لا... كلير محبوبة من الجميع، لا أظن بأن هنالك أحدٌ ما يود أن يضرها ولو قليلاً.»

قالت الضابط شيلسي: «حسناً إذن، شكراً على وقتك.»

عادت إلى مسيرها مادلين، لم تنبس ببنت شفة للشرطية، دخلت لشقتها وأوصدت الباب. سقط جسدها على الأرض وظهرها مستنداً على الباب، تشاهد شقتها وهي تدوران، تغمض عيناها وتمسك رأسها بيدها كي تتوقف الشقة عن الدوران. تفتح عينيها بعد دقيقة من اغلاقها وقد توقفت الشقة عن الدوران بالفعل، لكنها لا تزال غير طبيعية، فإنها تتحرك كأن الشقة في سفينة تسير في المحيط. نهضت مادلين من الأرض وتستند على ما تمسه يديها، مرةً على الكنبة، على طاولة، على الجدار، على مقبض الباب، حتى وصلت إلى حمامها،

فتحت خزانة المرآة وأخرجت حبوباً تجعلها تنام، أخذت حبتان وابتلعتهما دون أن تشرب ماء، عادةً تأخذ حبة واحدة، لكنها تعلم بأن حبة واحدة لن تجدي نفعا ولذلك قررت أن تأخذ اثنتين.

خرجت من الحمام وذهبت إلى السرير، جلست عليه لفترة قصيرة وهي تحدق أمامها وبالوقت ذاته تحدق إلى العدم، استلقت بجسدها على السرير، بعد أن أزالت اللحاف من تحتها وغطت به جسدها، أغمضت عينها والدموع تسقط منها بلا توقف.

(3)

استيقظت على صوت رنين هاتفها النقال، مدت ذراعها نحو الطاولة التي بجانب سريرها باحثة عن الهاتف، أجابت عليه دون أن تلقي نظرة على الشاشة.

صوت من الهاتف سألها: «السيدة مادلين؟»

قالت وهي تحاول أن تحسن صوتها: «نعم... من معي؟»

قال الصوت: «معكِ الضابط شيلسي من الشرطة، هل هذا هو الوقت المناسب للحديث معك؟»

بسرعة أعدلت مادلين من جلستها وقد جفَّ النوم من جفنها كأنها لم تكن في غيبوبة نومٍ قبل قليل بفعل الحبوب وقالت: «نعم... الوقت مناسب؟»

قالت لها: «جيد، متى بإمكانكِ القدوم إلى المركز؟»

أجابتها مادلين: «أمهليني ساعة وأكون هناك.»

قالت لها الضابط: «حسناً، سنكون في انظارك.»

نهضت سريعاً إلى الحمام، غسلت وجهها سريعاً ولم تبالِ ببرودة الماء، شاهدت نفسها في المرآة وقد كانت عيناها منتفختين كبالونه لونها أحمر، ذهبت إلى المطبخ بعدها وأعدت لنفسها كوب من القهوة لتزيل أثار التعب والإرهاق من وجهها ومن على عينيها، أثناء عودتها إلى الغرفة وهي ممسكة بكوب القهوة اصطدم مرفقها بالجدار فاختل توازنها قليلاً وسكبت القليل من القهوة على الأرضية وكادت أن تسقط لكنها استطاعت أن تستعيد توازنها سريعاً قبل أن يحدث ذلك. عادةً تهتم في انتقاء ما ترتديه، أما الآن فلا تشعر بأنها تود أن تمضي وقتاً طويلاً لتقتني شيئاً، تناولت جينزاً أسوداً، مع كنزة صوفية بلون الخردل وفوقه معطفاً من الجينز أيضاً ذات اللون الأزرق الفاتح، وضعت على رأسها قبعة من الصوف لونها أسود، وارتدت حذاء كونفرس لونه أسود عالي الرقبة، تشرب قهوتها سريعاً كأنها ماء وليست قهوة يجب أن تُحتسى على مهل لمذاقها الجميل. خرجت مسرعة من شقتها وهي تتناول بيدها المظلة المركونة بجانب باب الشقة وحقيبتها المعلقة.

وهي جالسة في قطار الأنفاق بدأت بالحديث مع نفسها، كيف لها وصلت لهذا السن دون أن يكون هنالك زوجاً بجانبها، ابناً أو ابنة، كيف كانت تملك هذا كله وفي ثانية من الزمن انقلب الأمر وقد فقدتهما مرة واحدة، ذهبا دون عودة. كما هو حال صديقتها كلير، تجلس مع شخص وبعد مضي الوقت يسرقه الموت على غفلة دون

وداع، كيف لنا أن تأتينا هذه المشاعر فقط عند الحزن، لماذا لا نفكر في هذه الأمور إلا عندما نقع في موقفٍ يوقظنا من الحياة ويجعلنا ندرك بأن الحياة لا طعم لها من دون دفء وسلام العائلة، ومن دون فضفضة الصديق، تسأل كيف لها أن تكون بعمر الواحدة والستين دون زوج، ولماذا لم تتزوج بعد موت زوجها، فمهما وصل الإنسان إلى درجة عالية من الاعتماد على الذات فإنه سيحتاج إلى شخص يكمل له حياته ليضيف عليها طعماً مختلفاً لا تستطيع أن تذوقه عندما تكون وحدك.

فُتح باب قطار الأنفاق في محطتها التي سوف تترجل إليها، بدأت أمواج البشر تتحرك سريعاً باتجاهين متعاكسين بسبب الوقت هذا الي يخرج منه الناس من عملهم، موجات ترتطم ببعضها دون أن تعرقل حركة أحد، ترجلت مادلين من القطار ويرافقها الصداع الذي لم يُزال بالنوم الذي انقطع أو حتى القهوة التي شربتها، تخرج من المحطة وتمشي باتجاه مركز الشرطة دون مبالاة، فرغم من أن ما أهلكها قد حدث منذ ساعات فقط، إلا أنها تشعر بأنها عاشت أياماً منذ أن رأت صديقتها كلير الميتة، تود من الزمن أن يركض ليتسنى لذاكرتها أن تمحي هذا الجزء من حياتها أو على الأقل أن يضع عقلها هذه الذكريات في أرشيف لن تعود هي إليها أبداً وتبقى قابعة هناك في الجزء المظلم الذي لا يذهب إليه أحد لأنه يعلم بأنها ذكريات لا نود زيارتها ومعاودة عيشها.

تصل للمركز، وتقف أمامه وسط المارة وهم يسيرون حولها، ممسكة بالمظلة بيد تقيها من بلل المطر، والأخرى محكمة قبضتها على حقيبتها حيث تكاد تشعر بأن أضافرها قد تخترق جلد الحقيبة من شدة قبضتها لها، تقدم رجلها دون أن تلتفت يميناً أو شمالاً فيصطدم بها شاباً كان يسير، اعتذر لها وهي ظلت تحدق فيه دون أن تفتح شفتيها، نظر إليها تلك النظرة على أنها مجنونة وهمَّ في مسيره، تابعت هي تقدمها حتى وصلت إلى المدخل، أخذ نفساً عميقاً وأغلقت مظلتها وقد نالت قطرات قليلة من المطر منها وسقطت عليها خلال هذه الثواني المعدودة ودخلت مركز الشرطة وشاهدت الضابط شيلسي تقف عند مكتب الاستقبال تحدث شرطياً آخراً وبيدها مجموعة من الملفات قريبة من صدرها كأنها تحتضنهم، واليد الأخرى كوب أبيض لا تستطيع أن تشاهد ما بداخله لكن تعلم بأنه يحتوي على قهوة سوداء ليبقيها مستيقظة ولا تفقد تركيزها.

شاهدتها الضابط شيلسي وهي تقف عند الباب، تركت الشرطي الذي كانت تحدث وتوجهت ناحية مادلين، وقالت لها بعدما حيتها: «لا أعلم إن كنت تذكرين لكنني الضابط شيلسي، شكراً على حضورك السيدة مادلين.»

قالت مادلين: «نعم أذكركِ... هل توصلتم إلى القاتل؟»

أجابتها: «الأمر ليس بهذه السهولة، هيا ندخل للداخل بدلاً من أن نقف هنا أمام الباب.»

حركت مادلين رأسها ولحقت بالضابط شيلسي عبر ممر شعرت بأن طويل، حتى وصلتا إلى غرفة علمت بأنها غرفة تحقيق، فهي تشبه تلك التي نشاهدها في الأفلام، غرفة ليس بها شيء سوا طاولة ومقعدين عادةً أما هنا فتوجد أربعة مقاعد، واحد في جهة من الطاولة واثنين في الجهة المقابلة للمقعد وآخر في احدى زوايا الغرفة، وأيضاً مرآة كبيرة على حد احدى حيطان الغرفة وتعلم بأن من يقف خلف المرآة يستطيع أن يشاهد كل شيء. غرفة باردة تجلب مشاعر الخوف والريبة حتى عندما تكون بريئاً، فالنفسية تتغير بسرعة ما أن تطأ قدماك الغرفة هذه وتشعر بأنك عليك الاعتراف بشيء لا تعرفه أنت ما هو لأنك لم تقترف شيئاً.

تسحب الضابط شيلسي المقعد المنفرد وتقول: «تفضلي السيدة مادلين.» وبعدما جلست في المقعد سألتها: «هل تودين أن شربي شيئاً؟ ماءً أو قهوة؟»

أجابت مادلين: «قهوة رجاءً.»

غادرت الضابط شيلسي لتجلب لها القهوة تاركة مادلين في الغرفة وحدها، بعد مرور احدى وستون عاماً تدخل مادلين لغرفة التحقيق للتحقيق في قضية قتل صديقتها كلير، قالت لذاتها: «بعد موتك يا كلير جلبتني إلى مركز الشرطة للتحقيق.» هزت رأسها سريعة نادمة على ما قالته بحق صديقتها المقتولة، فهذا الأمر اعتيادي ومُتطلب للكشف عن القاتل، ووعدت ذاتها مادلين بأنها ستفعل ما بوسعها لمساعدة أفراد الشرطة للكشف عن

القاتل.

عادت الضابط شيلسي ومعها كوبين من الورق بهما قهوة سوداء، وضعتهما على الطاولة، لمادلين ولها. جلست بأحد المقعدين المجاورين وأخرجت من جيبها جهاز صغير للتسجيل الصوتي ونوتة وقلم ووضعتهم على الطاولة أمامها.

رفعت رأسها لمادلين وقالت لها: «هل أنت مستعدة؟»

سألتها مادلين: «مستعدة لماذا؟»

أجابتها الضبط شيلسي: «لدينا بعض الأسئلة التي نود طرحها لنكتشف تفاصيلاً أكثر.»

قالت مادلين: «حسناً.»

وضعت الضابط شيلسي اصبعاً على أحد أزرار الجهاز ليبدأ التسجيل وقالت: «عليكِ أن تعلمي بأنكِ تستطيعين المغادرة متى ما أردتِ ذلك، وأيضاً بإمكانكِ عدم خوض هذا التحقيق ورفضه حتى توكلي محامٍ خاص لك، وإذا لم تستطيعي ذلك فبإمكاننا جلب محامٍ لكِ.»

ردت عليها مادلين: «ليس هنالك داعٍ لهذا كله، فكل ما أريده هو المساعدة وعدم إطالة الأمر عليّ وعليكم.»

قالت الضابط شيلسي: «حسناً إذن لنبدأ... إبدي بالتعريف عن نفسكِ، الاسم والعمر وكيف تعرفين الضحية السيدة كلير.»

قالت مادلين: «أدعى مادلين، أبلغ من العمر احدى وستون عاماً، وأعرف كلير منذ مدة طويلة تجاوزت

الخمسة عشر عاماً عندما انتقلت أنا للسكن في الشقة هذه وأصبحت جارتها.»

سألتها: «هل للسيدة كلير أقارب يزورونها بشكل دوري؟»

أجابت مادلين: «نعم، لديها ابن يدعى ماكس، قريبٌ منها ويزورها كثيراً.»

سألتها الضابط شيلسي: «هل تشعرين بأن هنالك شخصٌ ما قد يضر السيدة كلير؟»

أجابت: «لا أظن ذلك، فهي لا تخرج عن دائرة علاقاتها المعتادة التي هي صغيرة جداً، فعندما نكبر بالسن نكتشف بأن العلاقات الكثيرة لا تفيدنا بشيء ولذلك تصغر الدائرة مع مرور الزمن.»

قالت الضابط شيلسي: «حاولنا التواصل مع ابنها ماكس لكنه لا يجيب على هاتفه، هل تعرفين أين قد يكون؟»

أجابت مادلين: «لا أعرف في الحقيقة، وددت الاتصال به لكي أخبره عن الأمر لكن قررت التمهل في ذلك حتى أتمكن من معرفة المزيد من التفاصيل.»

سألتها: «هل علاقته بوالدته جيدة؟»

قالت مادلين: «لم أفهم السؤال.»

قالت: «هل تحدث مشاكل بينهما؟»

أجابت: «المشاكل العادية التي تحصل في كل منزل، ليس هنالك شيئاً غريباً خارج عن المعتاد.»

قالت الضابط شيلسي: « متى أخر مرة...»

قاطعتها مادلين قائلة: «اعتذر على مقاطعتي، لكن تذكرت شيئاً بأن قبل يومين عندما شاهدت صديقتي كلير آخر مرة، كان يومها ماكس عندها في المنزل يزورها، وسمعت أصوات مشادة كلامية بينهم ليس هذا فقط بل تحطم زجاج أيضاً، أعلم بأن المشاكل تحدث لكن عندما خرجت من شقتي لأخبرهما بأن أصواتهما قد ارتفعت أكثر من المعتاد وبأن الجيران سوف يسمعونهما، فُتح باب شقتها وخرج ماكس ونظراته كانت غريبة ووجهه ليس كماكس المعتاد الذي أعرفه كأنه انسان آخر.»

حدقت فيها الضابط شيلسي لوهلة ومن ثم سألتها: «وماذا حدث بعد ذلك؟»

قالت مادلين: «رأيته يخرج مسرعاً والشرر يتطاير من عينيه، قلت له: «ما بك يا ماكس؟» فلم يجبني، تركته وهممت للدخول إلى شقة كلير، لكنها قد سبقتني إلى الباب وقد قالت لي وهي تغلقه: «ليس الآن يا مادلين.» وأغلقت الباب دون أن أعرف ما حدث بينهما.»

سألتها: «كيف كان شكلها؟»

أجابت: «كأنها في مأزقٍ ما، العين كما تعرفين تفضح الناس في كثيرٍ من الأحيان وتكتشفين الكثير عنهم بمجرد النظر إليهما دون الحاجة للحديث، فقد كانت عيناها كمن لا يعرف كيف يسبح وسط المحيط في ليلة عاصفة.»

قالت الضابط شيلسي: «وقد اكتشفتِ هذا كله بنظرة واحدة؟»

ردت عليها: «كما قُلت لكِ، هي صديقتي منذ أكثر من خمسة عشر عاماً وأستطيع تمييزها بنظرة واحدة.»

قالت: «حسناً إذن، سننتهي هنا اليوم، وشكراً على التعاون السيدة مادلين.»

قالت مادلين: «على الرحب والسعة.»

أطفأت التسجيل الضابط شيلسي وقالت: «القضية معقدة أكثر مما كنا نظن.»

سألتها رغماً عن نفسها فهي لا تود الحديث: «كيف ذلك؟»

أجابت الضابط شيلسي: «هنالك إصابات مختلفة في جسد السيدة كلير، فهي لم تمت بسبب الطعنات التي في معدتها أو الضربة في رأسها، يبدو أنها عانت كثيراً في موتها ولم يكن بتلك السهولة لأنها قد خُنقت بعد ذلك.»

لم تستطع مادلين تمالك نفسها، قامت من مكانها بعد أن شهقت بصوتٍ عالٍ مسموع، سقط الكرسي الذي كانت تجلس عليه وتحركت سريعاً إلى احدى زويا الغرفة وبدأت بالتقيؤ لما تخيلته من بشاعة المنظر وكيف تحملت كلير هذا كله، لم يدم الأمر طويلاً وقد كان مجرد استفراغ بسيط.

ذهبت إليها الضابط شيلسي وربتت على كتفها قائلة: «هل أنتِ بخير سيدة مادلين؟»

أومأت برأسها وهي تتنفس بصوتٍ مسموع.

مسكتها الضابط شيلسي وقالت لها: «دعينا نخرج من

الغرفة هذه وآخذك إلى المنزل.»

قالت مادلين: «ما الذي حدث لصديقتي كليرا؟»

قالت الضابط شيلسي: «لا أستطيع قول الكثير سيدة مادلين، فكل شيء سري حتى تنتهي التحقيقات لكنني سوف أُبقيكِ على المستجدات بما أنكِ القريبة الوحيدة منها.»

قالت مادلين بحزن: «ممتنة لذلك.»

قامت الضابط شيلسي بتوصيلها إلى الشقة، وطوال الطريق لم تتحدثا في شيء، فالضابط شيلسي تعلم بأن مادلين في حالة لا تسمح بالحديث، قد تلقت العديد من الأخبار في هذا اليوم وفي خلال ساعاتٍ فقط جعلتها غير قادرة على إلمام أي شيء ولا تعلم كيف لا تزال متماسكة بنفسها حتى هذه اللحظة، ربما مع التقدم في العمر يكون الإنسان قادراً على تحمل الصدمات أو تقبلها دون ردة فعل.

بعد أن وصلتا للمبنى الذي تقطن فيه وقبل أن تنزل مادلين من السيارة قالت الضابط شيلسي: «هل تسدين إلى معروفاً؟»

قالت مادلين: «ما هو؟»

أجابت وهي تخرج بطاقة من جيب قميصها: «هل تستطيعين اخطاري ان تواصل معك ابنها ماكس؟ هذه البطاقة بها رقم هاتفي الخاص.»

قالت مادلين: «بالتأكيد سوف أفعل ذلك.»

شكرتها الضابط شيلسي، وترجلت مادلين من السيارة، راحت تمشي ناحية مدخل المبنى والأمر واضح من أنها تود السرير ولا تقوى على أخذ خطوة واحدة، شيلسي لا تزال في سيارتها تراقبها حتى بعد أن دخلت للمبنى ولم تعد في مرآها، ترجلت هي الأخرى من السيارة لكنها ظلت واقفة في مكانها دون أن تتحرك، بدأت تنظر في نوافذ الشقق في المبنى وتمسح المنطقة بعينيها لربما يساعدها هذا الأمر في معرفة تفاصيل أكثر في هذه القضية التي تعرف بأنها سوف تُخرج أسراراً كثيرة مدفونة للعلن.

(4)

دخلت مادلين إلى شقتها متشتتة وأول ما فعلته هو النظر إلى الوقت، فقد كانت ساعتها الرقمية الموضوعة بجانب التلفاز تشير إلى ما بعد السابعة مساءً بقليل فهي لا تحب الاهتمام بالدقائق إلا إذا كانت بمضاعفات الخمسة، رمت حقيبتها ومظلتها بجانب الباب دون أن تضع كل واحدٍ منهما في مكانهما، خلعت بقدميها حذائها وركلتهما بجانب الباب بعد أن فكت رباطيهما، ألقت بجسدها على الكنبة واحتضنت احدى الوسادات الموجودة عليها، وراحت تجهش بالبكاء. على صديقتها كلير، على الفراغ الذي تشعر به الآن والفراغ الذي سيتضاعف حجمه مع مرور الوقت، فالصدمة هذه التي تعيشها الآن تجعلها لا تستوعب حجم فقدان شخص عزيز وقريب منك، فقد مرت بظروف مماثلة لها وفقدت من تحب وقتها استلام الخبر كانت في حالة صدمة لم تستوعب في بادئ الأمر وظنت بأنها مرت في مرحلة الحزن

وانتهت، لكن مع مرور أسبوعين وثلاثة على فقدانها لزوجها وابنتها هنا شعرت بأن العالم كان عبارة عن مكان أسود تعيش فيه الظلال فقط لا يوجد فيه نور يخرجها إلى عالم البشر، بعد انقضاء تلك الفترة بدأ النور يخرج من العدم. هي الآن تعلم بأنها سوف تمر في هذه المرحلة وتتهيأ لها لكن لا شيء يجعلك مستعداً بعدما تخسر من هو قريباً منك، والأمر الأكثر قساوة أيضاً هو أنك لا تعرف المدة التي سوف تبقى فيها عالقاً في ذلك العالم الأسود، تود الخروج منه لكن لا تستطيع، بل تود عدم الدخول إليه لكن لا تعرف أي سبيل لا يؤدي إليه.

بعد الانتهاء من نوبة بكاءها شعرت بالجوع، معدتها فارغة فهي لم تأكل شيئاً منذ الصباح، لم يدخل شيء معدتها سوا القهوة. تود النهوض لتذهب إلى المطبخ لعمل شيءٍ بسيط لكنها لا تقوى على الحراك، تريد فقط الجلوس هنا حتى ينتهي هذا الفصل الكئيب من الحياة وتعود الرياح إلى مسارها لتذهب العاصفة. نهضت من مكانها وبدلاً من أن تذهب إلى المطبخ تابع سيرها إلى غرفتها وارتدت بيجاما مريحة بدلاً مما كانت تلبسه، وبعد ذلك أخذت هاتفها لتطلب من مطعمٍ صيني يقع في آخر الشارع، بعد ذلك عادت إلى تلك الكنبة تجلس عليها أمام التلفاز وتنظر إليه وهو مغلق كأنه يعمل ويعرض شيئاً لها، من يراها على هذه الحالة فقد يشعر بأنها امرأة مجنونة، لكن كل ما في الأمر هو أن الحزن يظهر بمختلف الأشكال على الناس، منهم من يبكي ولا شيء

يفعله غير البكاء، هناك من يغضب ويوجه أصابع الاتهام لأي شخص، أيضاً هنالك من لا يفعل شيء ويحدق في كل شيء وفي الوقت ذاته إلى العدم كما هو حال مادلين الآن، وهناك من تتشابك أشكالاً كثيرة فيه، فتجده في حالةٍ مختلفة بين فترة وأخرى. الحزن مثل نبات البيلادونا التي كانت توضع على رأس السهام سابقاً ليتفشى السم في جسدك كله ما أن يعبر من خلاله رأس السهم وينغرس فيك إلى أن يصل للقلب حتى تصبح شيئاً لا يود متابعة حياته في تلك الظلمة. يمضي الوقت وتبدأ تشققات النور تدخل إليك وتعود إلى شيءٍ يشبه ذاتك وذكرى تلك المرحلة تظل عالقة فيك لا تزول أبداً.

اهتز جسدها بعدما سمعت صوت جرس شقتها، تذكرت بأنها طلبت الطعام والسائق قد وصل أسفل المبنى فهو لا يستطيع الدخول إلا بعد أن يسمح لها الشخص بعد أن يضغط على الزر الذي يفتح الباب، نهضت من مكانها وتحركت إلى الباب لتضغط على الزر كي يُفتح الباب له، أخفضت من جسدها لتخرج محفظتها من حقيبتها الملقاة على الأرض وبعد ذلك علقتها في مكانها وفتحت الباب لتنتظر الطعام، لم تمضِ دقيقة حتى بان الرجل وأعطاها الطعام، دفعت له الحساب وعادت إلى الداخل. جلست على الكنبة من جديد، تنظر إلى التلفاز الذي لا يعمل بين حين وآخر وهي تخرج الطعام كأنها لا تود تفويت أي لقطة قد يفسد إثارة المتابعة، أخرجت الطعام كله ووضعته على الطاولة

أمامها، مدت يدها لتفتح احد الأطباق وإذا بها تتوقف بعد أن سمعت صوت طرقات على باب شقتها، تأففت ثم نهضت من مكانها وهي تتساءل من سوف يأتي إليها، فالجيران سوف يعذرونها وسوف يسألون عن حالها في الغد أو بعد الغد.

فتحت الباب وإذا بقلبها يسقط من مكانه بعدما شاهدته وقالت: «أين كنت؟»

أجابها بسؤال آخر: «ما هذه الأوراق الصفراء المكتوب عليها (مسرح الجريمة) الموجودة على باب شقة والدتي؟»

قالت له مادلين: «ادخل يا ماكس ودعني أخبرك بكل شيء.»

ردَّ عليها وهو منفعل: «أخبريني فقط ما الذي حدث لوالدتي.»

قالت له وهي تحاول تهدئته ملوحة بيديها: «سوف أخبرك بكل ما تود معرفته، فقط أدخل الآن كي لا يسمعنا الجيران.»

فتحت الباب أكثر وتنحت جانباً كي يدخل، فدخل وأغلقت الباب هي واتجها إلى صالتها، أجلسته على كنبتها التي بكت عليها وراحت تأخذ الطعام وتعيده إلى الكيس، ومن ثم وضعته في المطبخ، فأتت وجلست بجانبه تاركة مسافة بينهما.

قالت له: «انظر إلي يا ماكس.»

نظر إليها ونظراته كان ممزوجة بمشاعرٍ مختلفة وقال

لها: «أخبريني ما الذي حدث؟»

أجابت مادلين: «لقد حدث شيئاً لكلير... والدتك هذا الصباح، تم العثور عليها مقتولة في شقتها.»

قالها لها بسكون: «هل تمزحين معي؟»

أجابته وهي تقترب منه: «ليتني أمزح يا ماكس.»

قال: «كيف ذلك وكنت هنا قبل يومين.»

ظلت صامتة مادلين لبعضٍ من الوقت وهي تنظر إليه، بعدها قالت له بهدوء: «عندما كنت هنا قبل يومان، سمعتكما تتشاجران وبعدها خرجت أنت وعلامات الغضب بارزة على وجهك.»

قال لها بعد أن ابتعد عنها: «ما الذي تلمحين إليه؟»

قالت: «هل فعلت بها شيئاً؟»

أجاب بسرعة: «بالطبع لا، فقد رأيتها أنتِ بعد مغادرتي.»

قالت مادلين: «فقط لبرهة من الزمن وهي تغلق الباب، وآخر ما قالته لي هو: «ليس الآن يا مادلين.» هذا فقط... ماذا عن اليوم التالي، هل أتيت إليها وفعلت شيئاً وأنت في حالة غضب؟»

نهض ماكس من مكانه والتفت لها وهو يقول: «هل جننت أيتها السيدة مادلين؟ هي أمي ولن أفعل شيئاً يضرها.»

قالت: «أعلم بذلك، وفي الوقت نفسه أعلم بأن الإنسان

عندما يغضب يكون شيئاً آخر، مسخ قلبه سُقيَ بماء الكره والحقد على الطرف الآخر.»

علا صوته أثناء ذهابه نحو الباب: «أنت مجنونة يا مادلين، لقد كبرت وأصبحت مجنونة.»

نهضت هي من مكانها وقالت له قبل أن يخرج: «لقد أخبرت الشرطة بذلك، أخبرتهم عن ذلك اليوم.»

توقف هو ودار للخلف، ينظر إليها بغضب عارم، اقترب منها وراح يشير بإصبعه: «اسمعيني يا مادلين، إياكِ والاقتراب من طريقي، فلا تبدئي اللعبة وأنت لا تعرفين قوانينها.»

قالت له بثبات: «لعبة نهايتها الموت هي ليست لعبة.»

قال: «ستندمين على ذلك.»

قالت: «هل هذا تهديد يا ماكس؟»

أجاب: «تحذيراً وليس تهديداً.»

قالت وهي تقصد استفزازه: «حاولوا الشرطة التواصل معك لكنك لم تجيبهم، لذلك أخبروني بأن أتواصل معهم إن رأيتك.»

لم يقل لها أي كلمة، فقد خرج من الشقة وبداخله فوضى عارمة، وهي ظلت واقفة حابسة أنفاسها مما حدث للتو من حوار مع ماكس. ماكس الذي عرفته منذ أن كان فتى صغير أصبح رجل يتحدث بهذه الطريقة، أصبح شيء آخر لا تعرفه.

(5)

لم تهدر مادلين الوقت، تناولت الهاتف سريعاً وذهبت إلى حقيبتها لتبحث عن بطاقة الضابط شيلسي، ما أن وجدتها وأخرجتها من حقيبتها حتى رفعتها في الهواء كأنها وجدت الجائزة الكبرى أو ربحت في اليانصيب، بحثت بعينيها سريعاً عن رقم هاتف الضابط وراحت أصابعها على الهاتف تضغط على الأرقام سريعاً دون التحقق من الرقم مرة أخرى.

قبل أن تأتي الرنة الثانية حتى التقطت الضابط شيلسي الهاتف وقالت كأنها مترقبة اتصالها بالرغم من أنها لا تحتفظ برقمها: «أهلاً السيدة مادلين.»

ردت عليها بغير التحية قائلة: «بسرعة تعالي إلى هنا، فقد كان ماكس في شقتي، لقد غادرها للتو قبل أن أتصل بكِ.»

قالت الضابط شيلسي: «لا داعي لأن آتي إليك فبإمكاننا الآن أن نتواصل معه كي يأتي إلينا ونبدأ

بالتحقيق معه.»

قالت مادلين: «عليكم أن تبدأوا حالاً لأنه كان في حالةٍ غريبة.»

سألتها: «كيف ذلك؟»

أجابتها: «لقد كان غاضباً وهددني أيتها الضابط شيلسي... لا أشعر بالأمان وهو هكذا بيننا.»

قالت الضابط شيلسي: «لا يمكننا القبض عليه، فهو ليس مجرماً بعد ان كان هذا هو الأمر الذي توحين إليه.»

قالت بسرعة: «لا ليس هذا ما كنت سأقوله، لكن...»

قاطعتها الضابط شيلسي قائلة: «ما رأيكِ أن تأتي إلى مركز الشرطة وتخبرينا بالذي حدث وبذلك سوف نقرر إن كان الأمر يحتاج إلى تأمين الحماية لكِ أم لا.»

أومأت مادلين برأسها كأن الضابط شيلسي أمامها وتراها وقالت: «بكل تأكيد سوف آتي في الحال.»

خرجت سريعاً من الشقة بثيابها السابقة دون أي تغيير بها، ذهبت ناحية المصعد وضغطت على الزر، لم تنتظره حتى لتعلم إن كان سيتأخر عليها أم لا، هرعت سريعاً ناحية الدرج وهي تهرول كأن هناك من يطاردها أو أن الوقت سوف يسبقها إلى مركز الشرطة.

تحت زخات المطر تمشي سريعاً والمظلة بيدها أفكارها مشوشة ولا تعرف كيف تلتقط فكرة واحدة من الدوامة التي بداخلها لتركز عليها، لا تستطيع التركيز على شيء الآن سوا وصولها إلى مركز الشرطة وإخبارهم

بكل شيء حصل مع ماكس في شقتها، أخذت القطار إلى المركز كما فعلت في وقتٍ سابق من اليوم حتى وصلت إلى هناك، هذه المرة لم تقف أمامها بل دخلت سريعاً وبعد أن دخلت وقفت هناك عند المدخل وهي منذهلة قليلاً بسبب رؤيتها لماكس وهو جالس منتظراً أحد ما، ما أن رآها حتى نهض من مقعده وتوجه إليها وشاهدت بأن عيناه مليئتان بالدموع ومن وجهه الشاحب علمت بأنه بكى كثيراً، لكن ما أكثرها دموع الزيف تخرج كثيراً وقتما أردنا ذلك.

وقف أمامها فعادت للخلف خطوة هي والتصق ظهرها بباب المركز، قال لها: «بسببكِ أنتِ أنا هنا بدلاً من أكون في المستشفى برفقة جسد أمي.»

قالت له: «أنت من جلب نفسك هنا بقتلها.»

قال لها: «هل تتهميني بالقتل يا مادلين؟»

قالت: «رأيت النار تخرج من عيناك وأنت تغادر شقتها ذلك اليوم، ولم تخبرني هي بما الذي حدث بينكما، بل لم أرها حتى.»

ردَّ عليها: «لا توجد نار هنا غير هذا الجسد الذي أراه واقفاً أمامي الآن، فرغم برودة الأجواء إلا أن لهب قلبكِ أقسى من البرد علينا.»

قالت مادلين: «صداقتي مع كلير لا يصاحبها شيئاً من اللهب، علاقتنا كانت رائعة...»

قاطعها ماكس ضاحكاً وبعدها قال: «ليتكِ تعرفين بأن

أمي كانت تحدثني أيضاً، لست الوحيدة يا مادلين من تسمع أمي، ربما تخبركِ بأشياءٍ أكثر مني لكنها أيضاً كانت تحدثني وتخبرني بأشياءٍ عنكِ.»

اتسعت عينا مادلين وراحت تفكر بانتقاء الكلمات بحذر التي سوف تخرج منها، ابتسمت له ابتسامةٍ مزيفة وتقدمت خطوة ناحيته: «ما الذي قالته لك يا ماكس؟»

أجابها: «ليس لكِ شأن في ذلك.»

قالت بسرعة: «تستطيع اخباري بأي شيء وأنت تعرف هذا الأمر منذ أن كنت صغيراً.»

قال: «ما أعرفه قد يكون دافعاً لجعلكِ قاتل أمي... قاتل صديقتكِ كلير.»

حاولت مادلين أن تستخرج كلماتٍ منها لكنها لم تستطع أن تفكر بشيء أو التقاط كلمة تسبح في الفضاء بداخل عقلها، تنظر إلى ماكس وتتساءل ما هو هذا الشيء الذي يعرفه وقد يُحدِث في عالمها جلبة هي لا تريدها لنفسها، حاولت أن تتمالك نفسها قبل أن تقول شيء لربما يستخدم ضدها مستقبلاً. فتحت ثغرها للحديث، ولكن قبل أن يخرج شيءٍ من فمها سمعت صوت ينادي ماكس، أطلت من خلفه وإذا بها تشاهد الضابط شيلسي واقفة على مسافة بعيدة نوعاً ما في انتظار قدومه إليها، نظر إليها نظرة من انتصر على خصمه للتو في معركة حاسمة، أدار بجسده ذاهباً إلى الضابط شيلسي.

قالت الضابط شيلسي محدثة مادلين أثناء قدوم ماكس

إليها: «بإمكانكِ الانتظار هنا سيدة مادلين.» وهي تشير على كراسي الانتظار، وبعد أن اختفت هي وماكس عن أنظار مادلين تنفست الصعداء، استدارت ناحية باب المركز، فتحته وخرجت سريعاً دون أن تقرر إلى أين تذهب، كل ما تريده هو الخروج وأن تفكر في المصيبة التي سوف تقع فيها عندما يتحدث ماكس ويقول ما لا تعرفه الآن.

ماکس

(6)

11\23

«ما هذه الأرقام الكثيرة المزعجة التي تأتي في آنٍ واحد... لا أستطيع حتى أن آخذ قسطاً من الراحة دون أي ازعاج» قالها ماكس وهو يتقلب على كنبته أمام التلفاز، نهض من الكنبة وذهب إلى النافذة ليجلس في ركنها المخصص لجلوس، يشاهد الشارع الذي يسكن فيه وهو يفكر في الانتقال من هذه المدينة ليكون بعيداً عن والدته، هو في الثلاثين من العمر لكن لا يستطيع أن يعيش حياته كما يريد بسببها. ينظر إلى قطرات الماء التي تنزلق على زجاج النافذة ويكبر حجمها ما أن تلامس القطرة المنزلقة قطرةٍ أخرى بشكلٍ سريع ومتكرر بسبب المطر، أنفاسه الدافئة الخارجة من ثغرتي أنفه تلامس الزجاج البارد لتتشكل غيمة يتكثف فيها البخار، ينظر إلى السيارات التي تسير ويعدها دون أن يدرك ذلك،

يوقف نفسه ما أن يصل العد إلى الرقم ثلاثة عشر، يقرب رأسه من الزجاج حتى يستقر جبينه عليها ويطلق تنهيدة لعدم استقرار ذهنه.

منذ أن استيقظ هذا الصباح وهو يفكر بقراره الذي سوف يتخذه، فقد أقر ليلة البارحة بأنه سيغادر المدينة هذه، وسوف يزور والدته ليخبرها بذلك، لن يهدر يوماً واحداً من حياته بمداراتها بعد اليوم، ليس بعد ما حدث قبل يومين في شقتها، لا يود أن يكون قريباً منها بعد الآن، فبمجرد أن يفكر في ذلك اليوم تأتيه المشاعر من جديد ويشعر بأنه سوف يفعل أي شيء بسبب غضبه وهو دائماً معروفٌ بأنه يفقد رباطة جأشه عندما يغضب دون مراعاة لمن هو أمامه، كأنه يصبح انساناً آخر ليس بماكس، يتمنى من كل قلبه بأن العلاقة التي بينه وبين والدته تُمحى عن الوجود. هو لا يرغب في تلك العلاقة بعد اليوم، فالرغبة عندما تتلاشى من الإنسان لا شيء يعيدها إلى مكانها حتى وإن كان الشخص الآخر بمثابة الحيز الذي يشغل الفراغ كله، تقول بأنك بخير لكن وزنك يخلو من تلك الكلمة، كان كل شيء في حياتك، لا يوم يمر دون الحديث معه، فقدان الرغبة يجعلك إنسان تخلى عن قلبه تجاه من كان يحب ولم يعد لمشاعر الامتلاء وجود لدى حضوره.

تسائل: «هل هذه جريمة بحق والدتي؟»

أرجع رأسه إلى الوراء، مسح جبينه بيده وأحس ببرودة جلده في تلك المنطقة، أجاب نفسه بأن لا جريمة تُرتكب

بحق والدته سوى القتل، فالهجر لا يعد هذا، قد يؤلمها لكنه على يقين بأنها لن تتألم كما تألم هو ولا يزال الألم يسري في جسده كالداء لم يغادره منذ يومان، نهض من مكانه وذهب لغرفته ليرتدي شيئاً سريعاً خفيفاً. ارتدى جينزاً قديماً يرتديه كثيراً لونه كالرماد يتماشى مع لون السماء الماطرة، قميصاً قطني خفيف لونه أبيض طويل الأكمام، فوقه ارتدى سترة صوفية بلون الأبيض الكريمي، فوق السترة معطف بُني اللون، وحذاءً أبيض اللون أصبح متسخاً من كثرة الاستخدام.

خرج من شقته ممسكاً بمظلته التي تصبح شيئاً لا يُستغنى عنه شتاءً في هذه المدينة، قرر عدم ركوب قطار الأنفاق أو أن يستقل سيارة أجرة، أراد المشي لشقة والدته، يريد وقتاً أطولاً يقضيه مع نفسه لتكرار ما يود قوله في ذهنه مرةً بعد مرة كأنه يحفظ ما سوف يقول. يمشي دون مبالاة لتلك البرك التي تكونت بفعل الأمطار على الشوارع والأرصفة، ولا يمسح قطرات المطر التي تندفع على وجهه بسبب الرياح بين الفية والأخرى.

بعد المشي لما يقارب النصف ساعة من الزمان وصل إلى الحي الذي تقطن فيه والدته، قرر التمهل في المشي وتقليل سرعته لإطالة الوقت، لا يعرف لماذا لأنه يريد إنهاء هذا الموضوع في أسرع وقتٍ ممكن. أصبح المبنى على مسافة يستطيع من خلالها النظر إليه بوضوح، يشعر بأن دقات قلبه أصبحت سريعة وأيضاً عالية لأنه يكاد يشعر بأن من يمر بجانبه يسمعها، لأسبابٍ كثيرة

يشعر بتأنيب الضمير على ما سوف يقدم به لكنه لن يتراجع عن الأمر حتى لو أنها والدته، ففي كل مرة يأتيه شعور تأنيب الضمير يصاحبه شعوراً آخراً مؤلماً أكثر من الكراهية والحقد، فيخبر نفسه بأن والدته قد كذبت عليه طوال سنين حياته على هذه الأرض، عاش كذبة طويلة ثلاثون عاماً لم يكن يعلم بشيء.

كانت أم طبيعية كسائر الأمهات، تحبه ويحبها، علاقتهما كانت رائعة، لمدة ثلاثين سنة، بعد ذلك كل شيء تغير قبل يومان، أصبحت كإنسانٍ غريب بالرغم من أنها بالنسبة له أقرب من القريب. سر واحد يخرج بإمكانه أن يدمر أقوى العلاقات التي استمرت طويلاً، مهما طالت المدة التي نستطيع فيها كتمان السر فسوف يأتي يوم تبوح به ألسنتا لتعبٍ قد ألحقه ذلك السر بقلوبنا.

(7)

لم يتوقف أمام المبنى ليعيد النظر، بل دخل سريعاً وتوجه للصعود بالدرج ليحرق التوتر الذي بداخله، لامست قدمه الطابق الذي به شقة والدته، يمشي ناحية الشقة ورأسه مطأطأً كأنه قد أخطأ في شيء ويطلب المغفرة، عيناه لا تغادرا قدميه وهي تخطوا إلى باب الشقة الذي قد حفظ مكانها، وقف أمام باب شقتها ورفع ذراعه اليمنى ليطرق الباب وفي الوقت ذاته كان يرفع رأسه.

شعر بالدهشة بعد أن رأى اللاصق الأصفر على باب الشقة، عاد خطوة إلى الوراء بعد أن قرأ ما تحويه وعلم بأنها من الشرطة، حُبست أنفاسه رغماً عنه واتسعت عيناه قليلاً، رفعه قبضتيه ليضرب الباب لكن قواه لم تساعداه على فعل ذلك وهذا الأمر خارج عن المألوف فهو من النوع الذي لا يسيطر على غضبه، حتى وإن استطاع أن يمسكها فإن ملامح وجهه قد تُبان عليها الغضب، يلتفت يميناً وشمالاً دون أن يدرك يبحث عن

مـاذا، خطـوةً جديـدة إلـى الـوراء هـذه المـرة اختـل توازنـه وكاد أن يسـقط لـو لا أن أدرك نفسـه سـريعاً وعـاد إلـى اسـتقامته. يشـعر ماكس بشـعورٍ غريـب كأن جسـده يتضـرَّم نـاراً وبذلـك لا يسـتطيع أن يوقـف قدمـه اليمنـى عـن طـرق الأرضيـة، رفـع يـده اليمنـى وبأصابعـه تتحسـس بـاب شـقة والدتـه وعينـاه مغلقتيـن كأن يعيـد شـريطاً لذكرياتٍ مـا فـي ذاكرتـه، فتـح عينيـه وأخـذ نفسـاً عميقـاً وعلـم بأنـه حبـس أنفاسه دون أن يدرك ذلك لثوانٍ طويلة.

تحركـت عينـاه إلـى شـقة مادليـن أولاً تلتهـا رجـلاه اللتـان تجـرا جسـده جـراً نحـو الشـقة، طـرق البـاب وفتحـت هـي، سـألته سـؤالاً لكنـه لـم يسـمع مـا قالتـه وسـألها والغضـب بـان علـى ملامحـه أكثـر عـن السـابق: « مـا هـذه الأوراق الصفـراء المكتـوب عليهـا (مسـرح الجريمـة) الموجـودة علـى بـاب شـقة والدتـي؟» اسـتطاعت أن تجعلـه يدخـل إلـى الشـقة كـي تخبـره كل شـيء، جلـس علـى الكنبـة بعـد أن دلـت عليهـا مادليـن وبـدأت بإخبـاره مـا سـبب وجـود هـذه الشـرائط الفـراء وبـأن والدتـه وُجـدت مقتولـة فـي شـقتها، بـدأ يغلـي مـن الداخـل بعـد أن بـدأت مادليـن باتهامـه بطريقـة غيـر مباشـرة وطرحهـا الأسـئلة التـي تجعـل أي شـخص ينفعـل، وبذلـك هـو أيضـاً بـدأ بتحذيرهـا ممـا قالتـه لـه وخـرج وهـو فـي حالـة هسـتيرية سـاكنة، لـم يفقـد عقلـه لكنـه فقد رشـده. مـا أن خـرج مـن المبنـى حتـى رنَّ هاتفـه النقـال، أخرجـه مـن جيبه وأجاب دون أن يرى من المتصل.

قال المُتصل: «أهلاً، هل أتحدث مع ماكس؟»

أجاب: «نعم...»

«هل والدتك تُدعى كليرة؟»

أجاب مرةً أخرى بنفس الكلمة: «نعم...»

«معك الضابط شيلسي من الشرطة، نود التحدث معك في أمرٍ يخص كليرة.»

قال بصوت هادئ أقرب إلى الانكسار وعدم التصديق: «أعلم بأنها ميتة.»

قالت الضابط شيلسي: «نعم، لقد قُتلت ونود أن تأتي إلى المركز في أقرب وقتٍ ممكن يا ماكس ومن الأفضل أن تأتي حالاً دون تأخير أكثر.»

أجابها وهو يومئ رأسه كأنها تراه: «انني في الطريق.»

أقفل الخط دون أن ينتظر كلمة أخرى منها، كل كلمة كانت تخرج من فمه كان يشعر بأن سنةٍ من حياته تخرج من عمره، كأنه أقرب إلى الموت بسنة. غياب أضواء السماء خلف الغيوم الداكنة أخفت تعابير وجهه المنكسرة، سماءٍ كالرماد يسقط منها الماء ليخفي دموع الحزن الخارجة ممن كُسرت قلوبهم وتحطمت، علم بأن والدته قد ماتت من مادلين لكن بعد تلقيه الخبر مرةً أخرى من الضابط شيلسي بأنها قُتلت شعر بأن الأمر حقيقياً هذه المرة كأنها تُأكد على المرة السابقة، يمشي للمركز كاتماً ما به من مشاعر كي لا يفقد حبل أعصابه.

وصل هناك بعد مسافةٍ ليست بالقصيرة مسيراً على قدميه، أخبره أحد رجال الشرطة بأن الضابط شيلسي

سوف تأتي بعد برهة وعليه الجلوس للانتظار، لم يمض وقتاً طويلاً حتى رآها أمام عينه، رأى السيدة مادلين تقف بخوفٍ صغيراً يُصاحبها كظلها، رغم ملابسها التي يدرك ماكس من خلالها أنها لم تعطي للأمر أهمية للتأنق كعادتها إلا أن هيئتها دائماً ما تعجل ما ترتديه يبدو ملائماً بشتى الظروف، تقدم إليها بوجهٍ شاحبٍ يخفي ما يدور في ذهنه ولا يظهر إلا الحزن مع عيونٍ بللتها الدموع، تبادلا حديثاً شرساً بصوتٍ خافت كي لا يسمعهما أحد. في ذلك الوقت الذي لا يُذكر قال الكثير لها، كلماتٍ كانت مدببة خرقت جسدها، رغم غليان حممٍ بداخل جوفه إلا أنه استطاع أن يغرس تلك الكلمات بجسدها بهدوء. ابتسم ابتسامة خبثٍ بعد أن قال لها: « ما أعرفه قد يكون دافعاً لجعلكِ قاتل أمي... قاتل صديقتكِ كلير.» علم تماماً بأن ما قاله سوف يدخلها في متاهةٍ قد صنعها عقلها لها ما أن سمعت تلك الكلمات وهي تخرج من فمه. ومن ثم نادته الضابط شيلسي. لحق بها عبر الممر ذاته الذي سلكته مادلين في وقتٍ سابقٍ من اليوم، وكما شعرت هي بطوله فقد شعر هو كذلك، لربما الخوف الذي يعتلي الإنسان عند دخوله لمراكز الشرطة تجعل من تفكيره مختلفاً عما يكون في أكثر الوقت، وهو يمشي يحاول ترتيب ما سوف يقوله في ذهنه، ومن حسن حظه لم تحدثه الضابط شيلسي لكن ما حدث من أحداثٍ في الساعة الماضية تجعله لا يستطيع حتى أن يسمع أحاديث ذاته، يحاول أن يركز على صوته الداخلي

لكن لا يستطيع، رغم ذلك الفشل يحاول أن يكرر الجمل ليحفظها بدلاً من تذكرها. دخل الغرفة ذاته وسحبت الضابط شيلسي المقعد كي يجلس بعدها قالت له: «هل تريد أن تشرب شيئاً يا ماكس؟»

(8)

بعد أن عادت الضابط شيلسي ومعها كوبان من القهوة لها ولماكس، وضعتهما على الطاولة ومن ثم أخرجت آلة التسجيل لتشغيلها لتكون على الطاولة برفقة كوبي الورق المقوى ذات اللون الأبيض، بعد ذلك قالت: «أود أن أخبرك بأنك لست مكلفاً للبقاء هنا وبإمكانك الخروج الآن أو متى ما أردت، وأيضاً عدم خوض هذه التجربة دون محامٍ يا ماكس. هل هذا واضح؟»

قال لها وهو يهز رأسه: «بكل تأكيد ... لكن هل سيطول الأمر؟»

علمت الضابط شيلسي بأنه يخفي أمراً ما عنها وبذلك قررت أن تسأله أسئلةً إضافية لم تكن تريد طرحها، قالت له بعد أن حست أن صمتها قد طال قليلاً: «لا لن يطول، وتذكر بإمكانك التوقف متى ما أردت.»

قال لها: «حسناً لنبدأ.»

بدايةً سألته ما قد سألت مادلين أولاً: «ما هو اسمك

وعمرك وعلاقتك بالضحية كليرا؟»

أجابها بتردد خوفاً من أي يجيب على هذه الأسئلة الثلاثة بشكلٍ خاطئ: «أدعى ماكس...» توقف قليلاً ثم قال: «عمري ثلاثون عاماً وكليرا هي أمي.»

أومأت برأسها الضابط كليرا سألته: «متى شاهدتها آخر مرة؟»

قال بإيجاز: «قبل يومين...»

انظرت قليلا علّه يضيف شيئاً لكنه لم يفعل ذلك، فسألته: «هل بإمكانك أن تخبرنا تفاصيل ذلك اليوم... أي شيئاً قد تتذكره سوف يساعدنا في هذه القضية يا ماكس.»

أخذ نفساً عميقاً وقال: «أولاً قبل ذلك اليوم أرسلت لي رسالةً نصية بأنها تود اللقاء بي وعلي القدوم إلى شقتها مساءً، لم أرَ هاتفي إلا بعد انتهائي من العمل وحينها كانت لدي خططاً في المساء ولذلك أجبتها برسالةٍ أخرى بأن يصعب علي القدوم إليها الليلة وبأني سوف أزورها غداً في الصباح الباكر...» توقف قليلاً بعد أن عاد ما قال في ذهنه بصمت وقال: «ذلك اليوم الذي لم أكن أعلم بأنه سيكون آخر مرة سوف أشاهد فيه أمي.»

قالت الضابط شيلسي: «وبحديثك عن تفاصيل ذلك اليوم سوف تساعدنا في حل هذه القضية، هل تستطيع أن تتابع؟»

تابع ماكس قائلاً: «خرجت ليلتها من بعضاً من الأصدقاء وعدت إلى المنزل في وقتٍ لاحقٍ من الليل.»

سألته: «هل تستطيع تذكر الوقت؟»

أجاب: «لا أتذكر التوقيت بالضبط لكن أعلم بأنها كانت الحادية عشر.»

أومأت برأسها وسألته: «من هم أصدقائك الذين كانوا معك في تلك الليلة؟»

مال رأسه قليلاً مستنكراً وقد لاحظت الضابط شيلسي هذا الأمر وقال: «بسؤالك هذا أفهم بأنك تريدينهم ليكونوا شهوداً على أنني كنت برفقتهم ولم أكن في مكانٍ آخر... هل هذا صحيح؟»

أجابته: «علينا أن نتأكد وقتها أي كان الشخص الذي نستجوبه عن مكانه ومن كان بصحبته لنبعده عن أي شبهات، عليك أن تعلم بأن الأمر لمصلحتك فقط يا ماكس وليس لضررك أو ضر أصدقائك، نريد فقط التأكد من وجودك معهم.»

قال: «حسناً إذاً... لقد كنت برفقة جيمس وبيتي وإينيز. إينيز كانت حبيبتي السابقة.»

شعرت الضابط شيلسي بشيء من الاهتمام وسألته: «لماذا خرجت معها إذن؟ هل لا تزالون أصدقاء بالرغم من قطعكم العلاقة.»

أجابها: «هي صديقة بيتي المقربة وبيتي رفيقة جيمس ولذلك قد أتت معهم، بالإضافة إلى أننا لا نزال أصدقاء

نوعاً ما إذا تفهمين ما أعنيه.»

قالت: «وماذا أيضاً؟»

قال ماكس: «قطعنا علاقة حبنا لأن أمي كان تضايقها كثيراً وتضيف المصاعب على حياتها، أخبرتها بذلك كثيراً لكنها لم تكترث وتعيد جملتها المعتادة بأن إينيز لا تصلح لي.»

سألته بإهتمام: «ما الذي دار بالضبط بينكم ثلاثتكم؟»

أجاب ماكس: «إينيز فتاة عادية، لطيفة وذكية، تحب الحياة والمغامرة. لا تأبى لنظرات الناس لها ولا يهمها شيئاً لأنها لا تكترث لأي شيء سوى من هم في حياتها. أمي لم تكن تحب اللون الأسود الذي تصبغ به أظافرها إينيز وتلون شفتيها باللون الأسود وجفنيها ولباسها، كأنها تطلي ذاتها باللون الأسود الذي تمقته أمي وتقول لها بأنها تجلب نظرات الناس لها ولإبنها، في بداية العلاقة لم تكن إينيز تعير الأمر لكن مع مرور الوقت وتراكم أحاديث أمي فوق بعضها فقدت التحكم بأعصابها يوماً وبدأت بالرد على أمي. هنا أمي تفاجأت ولم تستطع كتمان ما بداخلها وراحت تسب وتشتم إينيز حتى توقفت بعد أن دفعتها إينيز لتسقط أمي أرضاً خائفةً منها، تنظر إلي مُنتظرة فعلاً مني أو حركة تجاهها لمساعدتها على النهوض أو حركة تجاه إينيز للدفاع عنها لأنني ابنها، وفي الوقت ذاته تنتظر إينيز حركةً مني تجاهها لآخذها خارجين من الشقة تاركين أمي خلفنا على الأرض...»

سكت قليلاً وهو يتذكر ذلك اليوم ثم تابع قائلاً: «كان خياراً صعباً فأنا أحب والدتي كثيراً لكنها قد تمادت أضعاف حبي لها ولم تحترم إينيز منذ بداية علاقتنا بالرغم من أنها كانت صبورة لا ترد عليها، أيضاً أحب إينيز لأنها أول فتاة أشعر بأنها نصفي الثاني وقد لملمت شتات قلبٍ محطم بسبب علاقاتٍ سامة سابقة. لن أكذب بأني لم أفكر بماً الذي سوف أفعله، فقد توقفت كأنما الزمن قد توقف وهرعت بعدها إلى والدتي لأساعدها على النهوض وأنا أفعل ذلك شاهدت وجه أمي وهي تقلل من احترام إينيز ساخرة منها لأنني اخترتها بدلاً منها كأنها حازت على جائزةٍ ما، فإلتفتت ناحية إينيز لأشاهد دمعة قد غادرت احدى عينيها وذهبت سريعاً راكضة خارج الشقة. بعد أن نهضت أمي أدرت بجسدي كي ألحق بها لكن أمي تشبثت بقميصي كي أبقى معها، ألقيت بيدها لما فعلته لإغاظة إينيز ورحت ناحية النافذة أُشاهد إينيز وهي تهرول بعيداً. أتت أمي بجانبي واضعة كفة يدها على كتفي قائلة: «لا بأس يا ماكس فهي لا تناسبك.» ، شعرت بالغضب واستأذنتها للخروج والعودة إلى ممارسة حياتي الخاصة بعيداً عنها.»

سألته الضابط شيلسي: «هل تشعر بأن والدتك كثيراً ما كانت تتحكم في حياتك واختياراتك في أمورك الشخصية؟»

أجابها: «نعم، أغلب الوقت ان لم يكن كله.»

قالت بنبرة صريحة: «وهذا الأمر يجعلك تفقد

أعصابك؟»

أجابها كأن يشعر بالسعادة بأن هنالك من يفهمه: «نعم... و...» وتوقف بعدها عن الحديث لأنه أدرك بأنها تود إيقاعه في فخٍ لتغلق عليه بعدها كافة السبل في الخروج لإنقاض نفسه.

قالت: «أكمل... هل أردت أن تقول شيئاً؟»

قال: «لا...» صمت قليلاً وهو ينظر إلى يديه اللتان على ممسكتين بركبتيه وقد تعرقتا بسبب التوتر وراح يمسحهما بجينزه وقال: «هل لي بكوبٍ من الماء؟»

ابتسمت له الضابط شيلسي وقالت: «حسناً سوف أجلب لك ماءً.» قامت من مكانها خارجة من الغرفة.

رفع رأسه إلى الأعلى ما أن خرجت الضابط شيلسي من الغرفة وبدأ يشعر بالدوار وهو ينظر إلى السقف، يقول لنفسه وهو يحاول أن ينظم نفسه بأن عليه أن يتوخى الحذر فيما يقول كي لا يقع في مأزقٍ أكثر مما هو فيه، يحاول بقدر الإمكان أن يجلب أحاديثٍ ومواقفٍ حدثت في الماضي لتساعده في صرف النظر عنه بعد أن يخبرها ما حدث قبل يومان، يسأل ذاته هل يخبر الضابط شيلسي كل شيء عما حصل أم يطبق لسانه على بعض الأمور التي حدثت. إن أخبرها فهل سيضع ذاته في مأزقٍ أم ان سكت دون اخبارها كل التفاصيل سيوقعه الأمر في مأزقٍ أكبر لأنه لا يعلم بالضبط ما قد قالت مادلين عند استجوابها هي أيضاً، يعلم تماماً بأنها

أخبرتهم عن رويته ذلك اليوم وهو في حالة غضب لكن كل ما يعرفه هو هذا فقط، لا أكثر ولا أقل.

قرر سريعاً بأنه سيخبرهم في التفاصيل كلها بما حدث في ذلك الصباح لأن الأمر قد ينقذه، أيضاً لكي يتأكد من ذلك سوف يخبرهم عما كانت تخبره والدته عن الجارة مادلين وكيف كانت في بعض الأحيان تود الهروب منها والاختفاء...

قاطعت حبل أفكاره الضابط شيلسي عندما دخلت إلى الغرفة من جديد وبيدها كوب الماء، وضعته على الطاولة أمامه وقالت له: «تفضل الماء الذي طلبته.»

أخذه ماكس وشرب القليل وقد شكرها.

أومأت برأسها له وقالت: «هل تستطيع الإكمال الآن؟»

قال ماكس: «نعم، أود أن أخبرك بأن في زياراتي لأمي في بعض الأحيان كانت تخبرني بأشياءٍ غريبة عن جارتها مادلين.»

تنظر إليه مستنكرة وتقول له: «كيف ذلك؟ هل تستطيع أن تشرح أكثر.»

أومأ برأسه وهو يقول: «بالطبع... كانت أمي في بعض الأحيان أنها تود الهروب من الشقة بسبب مادلين، فقد كانت متسلطة عليها وتترقبها في كل خطوةٍ تخطوها، لكن ما أن تفكر في ذلك تتراجع عن الفكرة لأن ليس لديها مكان سوى تلك الشقة ولا تريد خوض تجربة الانتقال ومشاقه.»

قالت الضابط شيلسي: «مازلت لم تخبرني عن شيء قد يدفعها إلى أمرٍ كهذا.»

أحس ماكس بأنه قد ضُبط ما لم يتحدث فقال: «في ليلةٍ ما هاتفتني والدتي وأخبرتني بأن علي القدوم سريعاً إلى شقتها، سألتها ما الأمر وهل هو ضروري فقد كان وقتها شارف على منتصف الليل ولدي عملاً في اليوم التالي، أجابتني بأنه أمرٍ هام يخصه جارتها مادلين وهي خائفة منها الآن وتختبئ في خزانة غرفتها لا تود الخروج إلى أن أصل أنا. أقفلت الخط سريعاً وتناولت حقيبة يد لأضع فيها ما سوف أرتديه غداً للعمل فقد عزمت أثناء المكالمة أنني سوف أرقد في شقتها الليلة، هرعت بعدها سريعاً إلى شقتها، دخلت المبنى دون الحاجة لقرع الجرس لأنه المفتاح لدي وما أن وصلت للطابق شاهدت مادلين واقفة أمام باب شقة أمي وبيدها شمعدان، واقفة فقط دون أن تحرك ساكناً. طوال السنين الماضية التي كنت فيها صغيراً أسكن هنا لم أرها في هذه الحالة وتلك الليلة كانت أكتشف فيها هذا الأمر.»

قالت الضابط شيلسي: «ما الذي حدث بعدها؟»

أجاب: «شعرت بالخوف قليلا، ليس على نفسي بل على والدتي منها، تقدمت خطوةً نحوها لكن جعلت هناك مسافةً بيننا تحسباً لأي شيءٍ قد يحدث، ناديتها باسمها فتحرك جسدها قليلاً كأنها أحست بأن أحداً ما خلفها وقلت لها: «ما الذي تفعلينه هنا في هذا الوقت المتأخر من الليل؟» ، لم تجبني بتاتاً وهربت سريعاً إلى شقتها

التـي كان بابهـا مفتوحـاً تمامـاً وقـد أغلقـت البـاب بعنـفٍ شـديد، أمـا الشـمعدان قـد أسـقطته أمـام بـاب شـقة أمـي. بقدمـي ركلتـه نحـو بابهـا وأصبـت بالذهـول لمنظرهـا وكيـف كان تصرفهـا مـا أن سـمعت صوتـي كأنهـا تهـرب مـن شـيءٍ مـا، لـم أرد أن أطـرق بـاب الشـقة ظنـاً مـن أمـي أن مـن سـوف يطـرق سـيكون مادليـن ولذلـك قـررت الاتصـال بهـا واخبارهـا أنـي أنتظرهـا عنـد البـاب، لـم أنتظـر كثيـراً حتـى فتـح البـاب قليـلاً وقـد أطلـت هـي مـن خلفـه لتتأكـد أنهـا ليسـت موجـودة وبعـد ذلـك فتحتـه كلـه كـي أدخـل. سـألتها: «مـا الـذي حـدث يـا أمـي؟» قالـت: «لا أعلـم فـي الحقيقـة، أظـن أنهـا قـد فقـدت عقلهـا قليـلاً... بـل كثيـراً يـا ماكـس، كنـا نجلـس نشـاهد التلفـاز فانتبهـت عليهـا تحـدق علـى شـيءٍ مـا علـى تلـك الطاولـة عنـد الجـدار، فسـألتها مـا الأمـر ولـم تجبنـي، أخبـرت نفسـي بأنهـا لـم تسـمعني وتابعـت المشـاهدة. لـم يمـض دقائـق حتـى قامـت مـن مكانهـا لتذهـب ناحيـة بـاب الشـقة، فتحتـه فخرجـت أمـا أنـا نهضـت مـن مكانـي لألحـق بهـا وأرى مـا الـذي سـوف تفعلـه، وقفـت عنـد بـاب شـقتي فشـاهدتها تدخـل شـقتها وخرجـت وبيدهـا شـمعدان مـا أن اقتربـت منـي حتـى رفعـت يدهـا التـي تحمـل الشـمعدان نحـوي وبيدهـا الأخـرى مسـكتني مـن ياقتـي اسـتطعت الإفـلات منهـا بنـزع يديهـا مـن الياقـة ودفعهـا بعيـداً عنـي لتتراجـع نحـو الخلـف وقـد انتهـزت الفرصـة لأغلـق البـاب علـي وأنـا أسـمعها تقـول: «افتحـي البـاب يـا كليـر.» مـع طرقـاتٍ خفيفـة، كنـت خائفـة جـداً لدرجـة لـم أشـعر

بالخدوش التي في ذراعي التي خلفتها أظافرها الطويلة بعد أن نزعت يدها من ياقتي إلا بعد انتهائي من مكالمتك على الهاتف يا ماكس.» . قلت لها: «لا بأس يا أمي، فقد أتيت اليوم ومعي هذه الحقيبة كي أنام هنا الليلة وأذهب إلى العمل غداً في الصباح، وإن أردت أن أبقى لأيامٍ أخرى فسوف أمر شقتي بعد العمل لأجلب حقيبةٍ أكبرَ تكفي لأيامٍ أكثر.» ، أومأت برأسها حابسةً دموعها في عينها والخوف مرسوماً على عينيها وملامح وجهها.»

قالت الضابط شيلسي وهي تشعر بأن ما قاله مثير للاهتمام: «هل تعرف ما الشيء الذي كانت تنظر إليه مادلين على تلك الطاولة؟»

أجابها: «قالت أمي وقتها أثناء وجودي هناك وما أن ذهب منها الخوف بأنها شعرت بالفضول لما كانت تراه مادلين، فذهبت نحو الطاولة فلم يكن عليها شيء قد يجذب اهتمامها، كان عليها شمعة ووعاء مثل صحنٍ عميق زجاجي به أوراقاً عطرية جافة وساعة يد ذهبية تمتلكها أمي منذ مدة طويلة.»

دونت ما قاله ماكس ومن ثم سألته: «هل سوف تخبرني إذاً عما حدث في آخر مرة التقيت فيها بوالدتك كلير؟»

قال سريعاً: «بالطبع سوف أخبرك الآن، وأود اعلامكِ بأن هناك أشياءً أخرى كثيرة حدث بين أمي ومادلين، لكن الأهم من هذا الآن أني سوف أخبرك ما حدث قبل يومين أثناء لقائي بأمي.»

(9)

تابع ماكس حديثه: «كما تعلمين بأني لم أستطع الذهاب إليها في الليلة الماضية ولذلك قررت أن أكون عندها صباح اليوم التالي باكراً، دخلت الشقة وقد كان وجهها شاحباً، لا لون فيه بتاتاً، عيناها فقدت بريقها كأن حياةً قد سُلبت، فتحت الباب دون أن تُحييني وبدأت أتبعها إلى الصالة حتى جلسنا قبالة بعضنا. لاحظت وجود علاماتٍ ملونة على رقبتها لكن لم أستطع تمييزها لأنها ترتدي قميصاً ذا رقبة عالية يخفي أكثر رقبتها عند عدم حركتها، أيضاً رائحة الشقة كانت كريهة قليلاً فعلمت بأنها لم تلقِ بالقمامة منذ عدة أيام. سألتها: «ما الذي يجول في ذهنك يا أمي؟» ، أجابتني: «ليتني صارحتك منذ البداية يا ماكس، أشعر بالذنب الشديد لأني اقترفت خطأً كبيراً وذنباً عظيماً لا يُغتفر، لم أكن أعلم بأن طريقي هذا الذي أسير فيه وأعيش حياتي سوف يعيدني

إلى نقطة لم أرد الرجوع إليها بعد سنينٍ طويلة تجاوزت ربع قرن يا ماكس...» ، قاطعتها قائلاً: «ما الذي تتحدثين عنه يا أمي؟» ، أجابت: «لا أعرف في الحقيقة كيف أُفاتحك في الأمر، فقد كان الأمر يتردد علي بين حين وآخر في مراحل مختلفة من حياتك إلى أن قررت أن أنساه تماماً لأنه لن يضيف إلينا شيئاً، لكن مع قدومه أضاف إلى حياتي الكثير من الجحيم مؤخراً حتى بدأت أشعر أن أطرافي بدأت تتخدر لا تُقاوم الصدمات كالسابق، أما الأمس كان شيئاً مختلف لم أذقه أبداً، ربما فعلت لكن قد كان منذ زمن طويل قد نسيت كيف كان طعمه. أتعرف ذاك الشعور الذي تظن فيه أنك تشعر بشيءٍ جديد لكن شيئاً ما بداخلك يُنبهك بأنك قد شعرت به منذ وقتٍ طويل ولطول الوقت هذا قد نسيت كيف كان، هذا ما حدث بالضبط لي.» . قلت لها: «هل عليكِ اخباري بكل هذه المقدمات يا أمي؟ لماذا لا تدخلين في صلب الموضوع واختصاره.» ، قالت بإنكسار: «ماكس عليك أن تفهم مشاعري كيف هي الآن وكيف كانت كي تعلم لماذا أخفيت الأمر طوال هذه السنين وتكلمت الآن لأن الخطر بات حولي وأريد أن أخبر أحداً به قبل شيءٍ ما يحدث لنا.» ...»

صمت ماكس فقالت الضابط شيلسي: «كانت تعلم بأن شيئاً ما سيحدث لكن لا تعلم متى وأين وكيف.»

أومأ برأسه ماكس وهو يشعر بحزنٍ شديد: «نعم... وأنا أخبرك بالأمر الآن فأنا أعيد تلك اللحظة لأول مرة

الآن وأشعر بكل كلمة قالتها وقتها وأنا أقول لك تفاصيل ذلك اليوم.»

قالت مواساةً له: «هل تريد استراحة من هذا؟»

هزَّ رأسه نافياً وهو يتابع: «قالت أمي بعد أن صمتت لبرهة وأنا أراقب عيناها اللتان لم تقعا على عيناي منذ أن دخلت شقتها: «لست فخورة مما حدث لكن أريدك أن تقف بجانبي لأنك ابني يا ماكس ولا لي أحد سواك في هذه المحنة التي أمر بها.» ، قلت لها وأنا أعلم بأنها تلعب ورقة الأم والابن وصبري بدأ بالنفاذ: «بإمكانك إخباري أي شيء يا أمي.» ، قالت: «هل تعلم أن لديك توأم يا ماكس؟» نهضت من مكاني ولم أستطع أن أصدق تلك الكلمة التي قالتها: «توأم.» كيف لي أن يكون لي توأم لا أعرف عنه طول هذه الثلاثين سنة التي عشتها، تغيرت نظراتي إليها من شفقةٍ إلى تشتت وسألتها: «ما الذي قلتيه للتو؟ لديَّ توأم؟» ، أومأت رأسها وقالت: «نعم لديك توأم يا ماكس ويدعى آدم.» ، قلت لها وبدأ شعور الغضب بالاستيقاظ بداخلي: «كيف ذلك...» ، قالت ودموعها تتساقط: «لم نكن طوال حياتنا على هذه الحالة وكل هذه النعم لدينا، فقد حملت بكما دون أب محدد وقد كنت في أسوأ درجات الفقر يا ماكس، أياماً أكثر قتامةً من السواد. حين خرجت أنت وآدم إلى الحياة كنت أعلم بأني لن أستطيع تربية ابن واحد فما الذي سوف أفعله باثنين في وقتٍ واحد، ضاقت بي السبل وكُدت أن أنهي حياتي حتى قررت أن أعرض احداكما للبيع لعائلة لم تستطع

الانجـاب وقتهـا مـع اتفـاقٍ علـى مبلـغٍ ضخـم دون أن أعـود إلـى حيـاة مـن يُشـترى منـي، لـم أسـتطع أن أقـرر مـن أبيعـه لذلـك جعلتهـم يختـارون مـن يـودون، لقـد وصلـت درجـة الدنـاءة فينـي إلـى هـذا المسـتوى يـا ماكس. وقـد اختـاروا آدم، ولحالتهـم الاجتماعيـة ومكانتهـم قـد أخفـوا كل شـيء حتـى الحقيقـة التـي انـي رُزقـت بتـوأم، أخـذوه بعيـداً مقابـل مبلـغٍ ضخـم لـم أكـن أتخيلـه، ومـن ثـم قـررت أن أعمـل جاهداً لأُشـغل نفسـي عـن هـذا الألـم الـذي لا يُنسـى، مـع مـرور الوقـت قـد تلاشـى ولـم أعـد لـه مكانـاً بداخلـي، كنـت أتذكـره بيـن فتـرةٍ وأخـرى لكـن دون ألـم كان طعمـه مُـراً فـي وقـت سـابق...» قاطعتهـا وشـرراً يخـرج مـن عينـاي: «مـا الـذي اقترفتـه مـن جرمـاً يـا أمـي؟» ، قالـت: «لا أعـرف يـا ماكس... لكـن منـذ مـدة ليسـت بالطويلـة وجدنـي ولا أعـرف كيـف ومـن أخبـره عنـي ومنـذ ذلـك الوقـت المضايقـات بـدأت منـه حتـى أتـى إلـي بالأمـس وحينهـا علمـت بـأن هنالـك منحنـى حـاداً أمامـي لا أعـرف ان كنـت أسـتطيع تفاديـه أم لا.» ، قلـت لهـا دون اكتـراث: «مـا الـذي توحيـن إليـه؟» ، أجابتنـي: «لا أعـرف، لكـن حصلـت مشـادة بيننـا وقـد كان تصادمـاً قويـاً...» ، قلـت لهـا: «لمـاذا لا تخبرينـي بالأمـر إذاً بعـد اخبـاركِ لـي بـه بهـذا كلـه.» ، قالـت: «الأمـر لـن يضيـف شـيئاً يـا ماكس، لقـد أخبرتـك بالجـزء الأهـم وهـذا كل مـا فـي الأمـر.» ، هنـا بدأت أشعر بالغضب أيها الضابط شيلسي.»

قالت الضابط شيلسي: «ما الذي حدث بعدها؟»

أجـاب وهـو يضـع يـده علـى رأسـه: «قلـت لهـا: «أخفيـت

سر وجود أخٍ توأم لي لأن الأمر لن يضيف شيئاً لحياتي، والآن تخفين ما حدث بينكما بالأمس لأنه لن يضيف شيئاً أيضاً لكن بعد مدة زمنية لا نعلمها، ربما أيام، أو أسابيع، أو أشهر، أو سنين سوف تخبريني كما أخبرتني بأمر توأمي الآن.» ، قالت: «ليس هكذا يا ماكس، انه معقد أكثر مما تظن.» ، قلت لها وأن أنهض من مكاني: «إذن أخبريني كي لا يكون معقداً لي.» ، قالت بعد أن وقفت هي أيضاً: «لا أستطيع اخبارك يا ماكس.» بدأت بالابتعاد عنها لأنها أصابتني بالجنون ودون أن أشعر تناولت مجسماً زجاجي ورميته على احدى الخزائن الزجاجية التي تمتلكها لتتكسر إلى أجزاءٍ مختلفة بحجمها فقالت هي صارخة علي: «ما الذي تفعله يا ماكس أمام والدتك؟» ، قلت لها صارخاً: «لا تلعبين ورقة الأم والابن يا أمي، فلن أُجاريها بعد اليوم.» ، تقدمت نوحي وهي تصرخ علي: «عن أي ورقة تتحدث.» قلت لها وأصواتنا لا تزال تعلو: «لا شأن لك، سوف أغادر الآن وأرجوكِ لا تتحدثي إلي.» تمسكت بيدي فدفعتها بقوة وسقطت بعيداً عني، شاهدتها وهي على الأرض تقول: «هل هذا ما تعلمته من إينيز.» لم أرد على كلماتها تلك وتحركت باتجاه الباب لأخرج وقامت هي من مكانها لتلحق بي، خرجت لأشاهد مادلين أمامي.»

قالت الضابط شيلسي: «هل قالت لك شيئاً.»

أجابها ماكس: «لا أعرف في الحقيقة فغضبي وقتها لم يجعلني أسمع شيء ولا أرى شيء، كنت انسانٍ بلا

وعي كشارب الخمر.»

قالت: «لا تعرف أيضاً ان تحدثت إلى كلير أم لا.»

هـزَّ رأسـه وعينـاه قـد امتلأتـا دموعـاً يأبـى أن يجعلهـا تخـرج وهـو يقـول: «كمـا أخبرتـك لا أعـرف... فلـم أكـن منتبهاً لشيء بسبب غضبي.»

قالت: «هل هناك شيئاً تود اضافته.»

قال سريعاً: «لا... هل أستطيع الذهاب الآن؟»

قالـت لـه الضابـط شيلسـي: «نعـم، تسـتطيع الخـروج... شكراً لك على تعاونك وسوف نبقى على تواصل.»

لـم ينبـس ببنـت شـفه وخـرج مسـرعاً دون أن ينتظرهـا أن تفتـح لـه البـاب أو حتـى تقـوده إلـى الخـارج، لـم تنفعـل هـي أيضـاً لأنهـا تعلـم بأنـه يمـر فـي حالـةِ حـزن ولا تريـد أن تزيـد همه أكثر مما فعلت للتو.

شيلسي

(10)

11\23

«ستنتهي مناوبتي قريباً، أشعر بحالة خمول بسبب الساعات الطويلة التي قضيتها في هذه المناوبة التي لم تنتهِ حتى الآن.»

رد عليها جون الذي دخل للتو قبل بداية وقت مناوبته: «أنت هنا قبل مناوبتك صحيح؟»

أجابته: «نعم، أخذت المناوبة التي قبلي نصفها كي أنتهي من بعض الأمور بالإضافة إلى مناوبتي الأساسية.»

قالها لها: «وهل اتممتها؟»

أجابت: «نعم انتهيت من كل شيء، وهذا يعني بأني سوف آتي لمناوبتي دون عملٍ ينتظرني...»

قاطعهما صوت مدير القسم يخبرهما بأن عليهما التوجه إلى مهمتهما التالية، فقد أتت شكوى من مالك مبنى بأن هنالك سيدة تقطن في احدى الشقق لم تلقِ

بقمامتها لأيام لأن الرائحة بدأت تنتشر في ذلك المبنى، وان ظل الأمر على هذه الحالة فسوف يشعر بالأمر بقية السُكان وسوف يشتكون. تحرك كل من شيلسي وجون في سيارة واحدة وهي تشعر بالضيق لهذا الأمر، على حافة الانتهاء من مناوبتها فقد أعطاها مهمةً إضافية سوف يزيد عليها وقتاً لا حاجةً لها فيه، جون يقود السيارة وهي في المقعد الجانبي رافعة رأسها للوراء مغمضة عينيها لتنال على قسطٍ بسيطٍ من الراحلة التي تكون فائدتها كبيرة حتى وان كانت دقائق معدودة، يعلم جون بأنها ظلت مستيقظة لساعاتٍ طويلة وأنها تشعر بالانزعاج من هذه المهمة ولذلك قرر عدم الحديث معها كي ترتاح قليلاً حتى يصلا لوجهتهما.

توقف بسيارته أمام المبنى وترجل منها جون قبل شيلسي وظل واقفاً رافعاً رأسه يتفحص المبنى، خرج رجلاً سريعاً وسأله ان كان من رجال الشرطة فأومأ برأسه جون وفي وقتها ترجلت شيلسي من السيارة لتقف بمحاذاته، فتح الرجل الذي عرف بنفسه أنه يدعى خوان وقد كان في انتظارهم، أخبرهم عن مكان الشقة التي تخرج منها الرائحة وغادرهم ليذهب إلى مكتبه البسيط الذي هو عبارة عن غرفة في القبو. سبقت شيلسي جون لتصعد الدرج أما جون ظل قليلاً ليمسح المكان بعينه دون أي سبب، فقط عادة يحب أن يفعلها كلما ذهب في مهمة حتى وان كانت لا تستحق كلمة مهمة لاستخفاف الناس في بعض الأحيان من عملنا ويظنون بأن كل شيء

يستحق الاتصال على الشرطة. وصلت هي الطابق الثاني حيث مكان الشقة، توقفت قليلاً لتبحث عن الشقة المطلوبة وترا الأرقام التي على الأبواب الأربعة الموجودة في هذا الطابق، أطلت بخلفها وشاهدت جون ورائها.

أشارت بيدها نحو الشقة قائلة: «هذه هي مهمتنا... هيا نتحرك كي انتهي منها وأعود إلى المنزل.»

تقدم جون وما أن وصل أمام الباب رفع يده لكي يطرق، وقبل أن يفعل ذلك استوقفته شيلسي ممسكةً بيده تنهيه عن ذلك.

سألها: «ما الأمر؟ ألا تودين الانتهاء؟»

قالت له بحذر وهي تشير بعينيها: «أنظر هنا.»

حدق في عينها لثواني معدودة بعدها نظر إلى المكان الذي أشارت إليه بعينها، شاهد بقعة حمراء على زاوية المدخل تكاد لا تُرى إلا عندما تمعن النظر فيها، أعاد نظره إليها بعد أن اتسعت عيناه وظلا صامتين قليلاً وهو يمسحان الطابق كله بعينهما وهو لا يزالان واقفين مكانهما.

سألها: «هل افتح الباب؟»

أخرجت من جيب معطفها قفازاً ووضعته على مقبض الباب كي لا تتسخ بصماتهما هنا تحذراً من أي شيء وقالت له وهي تضع يدها عند خصرها تحديداً على مقبض مسدسها: «الآن افتح.»

فتح الباب ودخلت هي أولاً ليأمن لها الحماية من

الخلف، وقبل أن تتفوه بكلمة لتعلن بدخولهما الشقة انطبق فمها فور رؤيتها جثة خامدة على الأرض مضجرة بدمائها، التفتت لجون بصمت وتوتر في آن واحد تخبره بعينيها أن عليهما تحري الشقة والبحث علَّ القاتل لا يزال موجوداً مختبأً في احدى الغرف. دخلا كل الغرف وفتشا في غرفة الملابس والحمام وتحت السرير لكن لم يجدا أثراً لوجود شخصٍ على قيد الحياة في الشقة مختبأً.

عادا إلى مدخل الشقة وقالت: «ما أن ظننت بأن مناوبتي ستنتهي حتى أتت لي مهمة لا أعلم من أين.»

قال جون: «لن تجلسي إذاً غداً هكذا دون شيء.»

قالت: «هيا اتصل بالمركز وأعلن خبر وجود جثة في الشقة ولننتظر قدوم الفريق.»

وبذلك ظلت الضابط شيلسي بعد أن ألزم المسؤول بعملها في هذه القضية.

(11)

«يا إلهي، يا له من يومٍ طويل.» هذا ما قالته الضابط شيلسي بعد مسح مسرح الجريمة برفقة الفريق وهي في مكتبها، أسندت جبهتها على سطح مكتبها وهي متعبة وتود أن تحصل ولو على ساعة واحدة من نومٍ يُعيد ملء وقودها لكي تستطيع أن تركز في هذه القضيةً الجديدة، لا تعرف إن كانت تريد العودة إلى شقتها أم تذهب إلى غرفة الاستراحة، بالرغم من أن غرفة الاستراحة تبعد بضع خطوات إلا أنها لن تحصل على الراحة التي تستحقها، أما شقتها فهي على بعد مسافة نصف ساعة مشياً على الأقدام وأقل من ذلك بالقطار، بالرغم من هذه الدقائق التي سوف تُهدر إلا أنها سوف تحصل ما سوف تريده ولذلك قررت دون أن تفكر لدقيقة كل لا تتسرب تلك الدقيقة من وقتها الذي تملكه وتضيع هباءً منثورا. رفعت رأسها من المكتب وراحت تفركُ عينيها بشدة لتزيح تراكمات النعاس من جفنيها حتى تصل

بسلام إلى الشقة، التفتت إلى زميلها جون وقالت له: «سوف أذهب لأنال قسطاً من الراحة، تستر علي إن سأل عني أحد.»

أومأ برأسه وقال لها: «خذي الوقت كله يا شيلسي.»

قالت له وهي تهم بالمغادرة: «بضع ساعاتٍ فقط يا جون.»

راحت تمشي سريعاً باتجاه قطار الأنفاق، لم تكن تعر اهتماماً لمن اعتادوا إلقاء التحية عليها أثناء مرورها من هذا الطريق يومياً كالسيدة التي تبيع الزهور في منتصف العمر، والسيد الذي يمسح نافذة بقالته، وذلك الشريد الذي يجلس قبالة الشارع على قطعة من الورق البني الذي أصبح مبللاً، مسنداً ظهره على احدى الجدران في زاوية بها مظلة تقيه من المطر، وغيرهم. من ينتبه عليها فقد يظن بأنها امرأة متعالية لعدم ردها على أيٍّ منهم، وآخرون قد يظنون بأنها متعجرفة، فكل شخص يشاهد غيره من زاويته وتلك الزاوية دائماً ما تكون خاطئة لا تعكس الصورة الصحيحة للإنسان.

تدخل إلى شقتها وذهنها خاوٍ لا شيء به سوى أحداثٍ متقطعة على شكل أفكارٍ غير واضحة كالضباب، لو سكنت قليلاً لتنتظر مرور الوقت بهدوء لوضحت أكثر، تُلقي التحية على شريكها الذي كان جالساً على طاولة الطعام التي تتسع لأربعة أشخاصٍ فقط غارقاً بجهاز حاسبه المحمول، تدخل لغرفتها دون أن تتوقف أو تلتف إليه لا هرباً منه وإنما هرباً من إرهاقها، تخلع معطفها،

ثم وشاحها، ثم سترتها، بعد ذلك حذائيها فجوربيها. تحني ظهرها أمام المغسلة لتبلل وجهها وعنقها لتمسح آثار العمل، تجفف وجهها سريعاً دون أن تبالي للأجزاء المبللة وبعدها وضعت رأسها على وسادتها التي هي بمثابة غيمة ممتلئة.

يدخل عليها شريكها مارك وهو منزعج قائلاً: «فقط تُلقين التحية يا شيلسي، لا شيء أيضاً أستحقه؟»

أجابت وهي على السري ووجهها على الوسادة: «ليس الآن يا مارك.»

قال لها: «ومتى إذاً يا شيلسي، إلى متى سيستمر هذا البرود بيننا؟»

قالت وهي ترفع رأسها من الوسادة: «قلت لك ليس الآن، نستطيع أن نكمل الحديث في وقتٍ لاحق، ليس لدي الكثير من الوقت للمجادلة... هي بضع ساعات أريد أن أحسن استغلالها كي أنعم بالقليل من الراحة كي أستطيع أن أتابع العمل على هذه القضية الجديدة.»

ردَّ عليها بصرامة: «كفاكِ يا شيلسي.»

قالت: «أنت كفاكَ رغواً ودعني...»

اقترب منها مايك خطوتين وقال بصرامة: «لا أستطيع أدعك بعد الآن دون حديثٍ سوف يرسم لنا الطريق أمامنا بصورةٍ أوضح، عليكِ أن تعرفي بأن العمل ليس كل شيء في هذه الحياة وأن لديك شريك يشاطرك أفراحك وأحزانك وكل تفاصيل حياتك.»

قالت شيلسي: «وأنا أعلم بذلك دون الحاجة من أن تذكرني بذلك يا مارك في كل مرة.»

قال لها: «أنا لا أذكرك وإنما أقول لكِ لأن الأمر لم يعد من أولوياتك الآن.»

قالت بانفعال وهي تجلس على حافة السرير: «وما أدراك ما هي أولوياتي... هي أولوياتي وأنا من يقررها.»

قال: «ونحن الاثنين تربطنا علاقة وشريكين في هذه الحياة إلى متى سوف تُبدين العمل على علاقتنا، إلى متى أجلس مكتوف الأيدي دون أن أعلم متى تدخلين للمنزل ومتى تغادرين وأين تذهبين وأين تأتين.»

نهضت من مكانها وهي تقول: «لا شأن لك في تحركاتي، فهذا هو طبيعة عملي.»

قال مارك: «نعم لا شأن لي، لكن أريد أن أشعر بأن لي شريكة أستطيع أن أكون بصحبتها عندما أريد دفئاً لا يستطيع أحداً منحي إياه.»

قالت بغضب: «ليس لدي الكثير من الوقت للقتال معك يا مارك، ساعاتٍ فقط وعلي العودة إلى العمل كما قلت لك.»

قال لها: «وهذه هي حياتكِ فقط؟ عمل وراء عمل وراء عمل؟ لا شيء قبل ذلك أو بعده؟ كأن لا حياة لكِ ولا أشخاصٍ تُشاركينهم لحظاتٍ معهم...»

وقتها شعرت بدوارٍ بسيط، تُمعن النظر فيه ولشفتيه اللتان تتحركان وتخرج منها كلمات عتابٍ موجهةً لها، لكنها لا تعد تسمع صوته بسبب الطنين الذي أتى فجأة

في أُذنيها. تُشاهده وهو منفعل بحركات يده التي تتحرك مع شفتيه وعيناه اللتان مصوبتا نحوها، وهي تنتظر وقت انطباق شفتيه لتعرف بأنه انتهى من الحديث.

أُعيدت إلى وعيها بعد أن طرق مارك بإصبعيه وهو يقول لها: «لا تفعلي ذلك الأمر الآمر.»

سألته دون اكتراث: «عن أي أمر تتحدث؟»

قال: «اختفائك وأنت هنا أمامي.»

قالت له وصبرها بدأ ينفذ: «أُغرب عن وجهي لأني لا أستطيع أن أتحمل كلمةً واحدة صادرة منك أو مني... أرجوك اذهب ولنكمل الحديث في وقتٍ لاحق.»

قال لها بعصبية شديدة: «يا لكِ من امرأة عديمة الإحساس.» وخرج من الغرفة.

ظلت هي واقفة في مكانها حتى سمعت الباب يُغلق، وبانغلاقه أغلقت هي عينيها لراحتها التي تسعى إليها. استيقظت على صوت رنين هاتفها الذي كان خفيفاً، راحت تبحث عنه بين طيات اللحاف بيدها دون أن تلتفت له حتى وجدته، وضعت الهاتف أمام وجهها وجفنا عيناها أقرب إلى الملامسة بسبب الضوء، شاهدت اسم زميلها جون، انقلبت على ظهرها ومسحت بيدها الأخرى وجهها وهي تتأفف لكن سرعان ما أفاقت وأجابت على جون الذي أخبرها بأن عليها القدوم الآن. نهضت من السرير وراحت تغتسل سريعاً وظلت بلباسها ذاته دون أن تغير شيء سوا القميص وسترتها، هرولت سريعاً خارجة من شقتها لتتجه إلى مقر عملها.

(12)

قال لها جون: «ها قد خرج ماكس، هل هناك أحداً آخراً تريدين استجوابه قبل انقضاء اليوم؟»

وهي تجلس على مقعدها تقول له: «لا أرجوك...» تتنهد قليلاً ثم تكمل: «سوف أعلنها من ليلة ولنكمل غداً، سوف أعود إلى المنزل بعد قليل.»

ردَّ عليها: «أشعر بأن دوافع ماكس أكبر من دوافع مادلين لأنها ليست بكامل وعيها كما أخبرنا ماكس.»

قالت شيلسي: «حتى الآن يا جون لا أعلم ان كنت أنا بكامل قواي العقلية لأخبرك من دوافعه أكبر ممن، سوف أخبرك بالغد بعد أن نستريح وندرس الأمر قليلاً ونوسع نطاق بحثنا فلدي فضول بحبيبته السابقة إينيز.»

قال ماكس وهو يضع دفتره الصغير في درج مكتبه: «حسناً إذاً لنذهب.»

سلكت شيلسي الطريق نفسه للشقة، غارقة في مخططٍ

رسمته في ذهنها عن هذه القضية، صورتا كل من مادلين وماكس في الأعلى وتحتهما خطوطاً كثيرة متجهة إلى صورة كلير. كل وقتها الذي أمضته في المسير نحور الشقة كان من نصيب هذه القضية حتى وطأت قدماها شقتها معلنة وصولها ووصول كل ما حدث مع مارك، وضعت ابهامها في فمها وراحت تعض في ظفرها وهي تبحث بعينيها عن أثرٍ له قبل أن تخطو أي خطوة، لم تجد أي أثراً له فتقدمت قليلاً حتى أصبح المطبخ على مرآةٍ منها وبدأت تطل برأسها باحثتاً عنه، من ثم الممر مروراً بغرفة المكتب إلى أن وصلت الغرفة فلم تجده في أي مكان في الشقة. تنفست الصعداء لأنها لا تود أن تراه الآن ولا تعلم السبب ان كان غضبها، أم ان كانت تريد أن تخلد للنوم أو أنها لا تود خوض شجارٍ آخراً.

في حوض الاستحمام وقفت تحت المياه المتدفقة رافعه رأسها لتنزل على وجهها، وقتها تساءلت ان كان ما قاله مارك صواباً، تسأل نفسها: «هل أنا غارقة في عملي؟» ... «هل أهملته كما يقول؟» ... سرعان ما طردت هذه الأفكار من رأسها وقالت لذاتها: «لا لم أهمله يوماً قط، يقول هذا كله كي لا أجتهد في عملي وأكون انساناً ناجحاً، عليه أن يدرك بأن الانسان في بعض الأحيان يحتاج إلى خلوة مع ذاته سواء للراحة أو لعمله أو لأي شيء يريد فعله، وهو ليس لديه السلطة في اخباري ما أفعل وما لا أفعل.» . خرجت من الحمام بمنشفتين واحدة ملفوفةٍ على جسدها والأخرى على شعرها، جلست أمام

التلفاز وراحت تقلب القنوات، أثناء ذلك تذكرت بأن مارك سوف يدخل في أي وقت وان شاهدها هنا فسوف يعيد سيناريو ما حدث اليوم أو ربما يفتح موضوعاً آخراً للجدال وهي لا طاقة لها في ذلك الآن ولا لاحقاً ولا في أي وقت. تغلق التلفاز وتعيد جهاز التحكم إلى مكانه على الطاولة وتذهب إلى غرفتها، ترتدي ملابس نوم مريحة واستلقت على السرير، لم تمض سوا دقائق قليلًة حتى خلدت إلى النوم.

لا تعلم كم من الوقت مضى لكن المكان مظلم، تتقلب على السرير وتتحس مكان مارك لكن فارغ، تسمع صوتاً لا تعرف مصدره، تنصت قليلاً وتصغي لتكتشف بأن الصوت من خارج غرفها أي أنه بداخل الشقة، نعم هي شرطية لكن وقتها شعرت بالخوف، تخبر ذاتها بأنه مارك هو من في الخارج ويصدر هذا الصوت لكن لم تستطع أن تقنع نفسها بذلك فالخوف انتشاره أسرع في الجسد كالسم، رفعت رأسها قليلاً وهي تحدق في باب غرفتها الذي هو مفتوحاً قليلاً وتمنت لو كان مغلقاً، لمحت جسداً من المساحة المفتوحة وهنا اقشعر بدنها لتنتصب شعراتٍ شفافة بجسدها ما أن أدركت بأن الجسد الذي رأته لم يكن مارك، أعادت رأسها على الوسادة سريعاً ساحبة اللحاف على وجهها لتغطيه تاركةً مساحةً صغيرة لتكشف القليل فقط عن عينيها. لديها المقدرة بأن تنهض وتقاوم لكن الخوف قد انتشر بكامل جسدها وتمكن منها، سمعت صرير الباب وهو يُفتح أكثر كاشفاً

عـن امـرأة واقفـة أمـام الغرفـة الآن تحمـل طفـلاً بيديهـا الاثنتيـن، تراهـا شيلسـي وهـي تعرفهـا لكـن لا تسـتطيع أن تثبـت أيـن قـد شـاهدتها مـن قبـل، تتقـدم بخطواتهـا نحـو سـرير شيلسـي وهـي فـي مكانهـا لا تتحـرك، وصـل جسـد المـرأة أمـام وجـه شيلسـي، تـود أن تغلـق عينيهـا أو أن تسـحب اللحـاف لتغطـي عينيهـا لكنهـا لا تسـتطيع كأن كل عضـوٍ فيهـا قـد شُـلّ حركتـه وتوقـف الزمـن بهـا، انخفـض جسـد المـرأة التـي كانـت ترتـدي رداء نـومٍ أبيـض اللـون حتـى أصبـح وجههـا يُقابـل وجهـا شيلسـي علـى نفـس المسـتوى، تحـدق بعيـن شيلسـي بوجـهٍ أبيـض شـاحب. تحـاول شيلسـي أن تصـرخ، تضـرب، تغلـق عينهـا، تقفـز، تبكـي، لكـن لا شـيء يحـدث. كأن المـرأة هـذه ألقـت عليهـا تعويـذة تمنعهـا مـن الحـراك، فتحـت المـرأة فمهـا وهنـا شـعرت شيلسـي بـأن قلبهـا قـد فـارق جسـدها بالفعل بسـبب هذا المشـهد المريب الـذي تـراه الآن أمـام عينهـا التـي لا غشـاوةٍ تخفـي شـيئاً أمامهـا، نطقـت المـرأة قائلـة: «هـم فعلـوا ذلـك.» وأمسـكت بعنق شيلسـي بعد أن رمت الطفل أرضاً.

(13)

تستيقظ شيلسي من نومها بهلع، مرةً واحد شهقت الهواء، استيقظت من سباتٍ ينعدم الهواء خلاله، شعرت بيدٍ تلامس جسدها فالتفتت إليها وإذا هي تقفز لكنها لم تستطع التحرك بعيداً لكونها هي يد مارك الذي كان متشبثاً بشيلسي بكلتا يديه، كأنه بعناقها سوف يحميها من الكل الأشياء التي تُرمى عليها مثل الدرع.

قال لها: «مجرد كابوس يا شيلسي... مجرد كابوس.»

ردَّت عليه وهي تبتعد عنه: «نعم أعلم... هو ذاته...»

منعت من حدوث حديثٍ مطول بينهما بنهوضها من سريرٍ دافئ يقيها من برد الشهر، وحبيباً صادق بمشاعره قبل أفعاله لا يوجد منه الكثير. ذهبت إلى المطبخ، تسخن الماء وأثناء غليانه أخرجت كوباً ووضعت بداخله كيس شايٍ وراحت تقف تحدق في الغلاية الالكترونية وهي تعيد أحداث الكابوس في عقلها، تحاول أن تتذكر المرأة التي شاهدتها في الحلم وتعيد احياء صور بعض

الأشخاص الذين تعرفهم علها تجدها هناك في ذاكرةٍ تمشطها كما تمشط الشعر. انتهى الماء من الغليان فسكبته بكوبها وراحت إلى النافذة وهي تفعل ذلك أدارت رأسها نحو الساعة التي كانت تشير إلى الثالثة بعد منتصف الليل ودقائق قليلة بعدها، وقفت بمحاذاة النافذة التي يصل ارتفاعها للسقف تقريباً وأمالت بجسدها عليها مُسندة كتفها الأيسر، تحدق بالنافذة والأمطار التي تكاد ألا تتوقف، تفكر بما قال لها زميلها جون بشأن دوافع من هي الأكبر من الأخرى ليصل الأمر لقتل كلير، خلال عملها في مجال التحقيق شاهدت العديد من القضايا التي يرتكبها أُناس لا نستطيع الشك بهم، هذه القضية تكاد تستطيع أن ترى من هو القاتل لكن هناك غمامة تمنعها من ذلك، تعرف تماماً بأن القاتل قريب جداً من كلير وقد يكون كل من ماكس أو مادلين أو ربما أحداً آخر وعلينا توسيع نطاق الاستجواب.

أحست بمارك وهو يجلس على الكنبة لكنها لم تلتفت له فقال لها: «تحدثي إلي يا شيلسي.»

قالت: «لا أستطيع الآن، فأنا أفكر بالقضية.»

قال لها: «هذا هو ما تفعلينه دوماً، حتى بوجودك هنا تفكرين بالعمل دون أن تفكري بمن هم حولك في اللحظة.»

قالت وهي تستدير: «عملي يتطلب التفكير طوال الوقت يا مارك، أنت تعلم بذلك.»

قال لها وهو يمرر أصابع يده على شعره: «يا شيلسي

عليكِ أن تضعي حاجزاً بين حيواتك التي تعيشيها، يجب أن يكون هناك حاجزاً بين حياة العمل وحياتك الخاصة وإلا لن تنجح إحداها.»

ردت عليه بغضب: «وأنت أدرى بكيفية إدارة حياتي أكثر مني؟»

قال لها مدافعاً عن نفسه: «لم أقل ذلك بتاتاً، أريدك فقط أن تفهمي بأن لكِ حقوقاً أكثر غير هذا العمل اللعين، الحياة لا تعني العمل إلى أن تفشل حياتنا الخاصة بتدمير العلاقات التي تربطنا بغيرنا أي كانت، فالأمر يترك جرحاً عميقاً يحتاج إلى وقتٍ ليتماثل للشفاء، وبعد أن يشفى الجرح تولد بدلاً منه ندبةً لا تبارح مكانها تذكرنا بما حدث. هل فكرتي يوماً بالآثار التي تُخلفيها وراءك وأنت منغمسة بعملك لا تعيرينَ أحداً شيئاً؟»

ردَّت عليه: «هذا كل ما تفعله يا مارك، تهاجمني بدلاً من أن تكون سنداً لي وتشجعني على الاجتهاد في عملٍ أحبه...»

قاطعها: «لن أشجعكِ على هدم علاقة وقطع أُناسٍ من حياتك وأولهم أنا.»

قالت له: «ألا تفهم بأن النقاش عقيماً معك.»

أجابها: «لن أتحمل مسؤولية أخطائك يا شيلسي، إياكِ أن تلقي اللوم علي وأنا أول الداعمين لك والمبادر بيننا في خلق بيئة نقاشية لتفادي الأخطاء الجسيمة التي سوف تنتج ان لم يكن هنالك نقاش في أي علاقة، لا بد

من أنك أصبحت مدمنة، تشعرين بنشوةٍ مختلفة بسبب العمل، فالأمر يضرك وبالرغم من أنك تعلمين ذلك إلا أنك تتجاهلين الأمر وتتابعين ما تمارسيه بسبب تلك النشوة. أصبحت كمدمن الكحول أو المخدرات أو أي حالة ادمانٍ معروفة بالمضرات، يعلمون بأن الأمر لا يضرهم فقط وإنما يضر أقرب الناس إليهم حتى ينفروا منهم، لقد حاولت كثيراً يا شيلسي أن أتقرب منك وأبقى معك لكن الأمر قد تجاوز حداً أعلم تماماً بأني لا أستطيع مواكبته. سوف أغادر أول الصباح ولن أعود طالما لا يوجد بداخلك نبضاً يُقاوم هذا الإدمان، يؤسفني أن أغادر بعد أيامٍ لا أستطيع أن أعبر عنها قد عشناها سوياً لكن الأمر أصبح لا يُطاق لدرجة النفور. أتمنى لك حياةً جميلة يا شيلسي.»

نهض من مكانه وقد قادته قدماه باتجاهها، وهو يفور غضباً. هو كرجلٍ لا يحب أن تكون الأمور خارج سيطرته، تمنى لو هي بقبضته الآن لتعتذر، لكن يعلم بأنها لن تفعل ذلك ولو بعد حين. لا يعلم هل كبريائها أم غرورها من يمنعها عن ذلك، ربما تظن بأن الاعتذار من شيم الضعفاء، أو حب الذات والأنانية لديها يتفوقان على كل الأشياء. يكاد لا يعرف شيئاً الآن، فهو يحبها وحاول بقدر الإمكان أن يُنجح العلاقة بينهما ويتمسك بالشعرة الأخيرة التي كانت تربط جسرهما لكنها أضعف من أن تُمسك وتُثبت كل منهما على أرضه، أفلتها قبل أن يستنزف كل طاقته، التمسك بالمستحيل لإنجاح علاقة على وشك

الدمـار أمـر مصيـره الفشـل. بالرغـم مـن الغضـب الـذي استوطنه إلا أنـه نجـح فـي المغـادرة للغرفـة وإغـلاق البـاب خلفه بعد أن طبع قبلةٍ أخيرة على جبينها.

ظلت هـي فـي مكانهـا، لا تعـرف مـا هـي المشـاعر التـي انطلقـت نتـاج مـا حـدث للتـو. تتسـاءل هـل يعقـل أن يتركهـا بعـد هـذه السـنين كلهـا بسـبب عملٍ تحبـه، هـي لا تـرى كل ما يقولـه... الأنانيـة، حـب الـذات، الإدمـان. كل هـذه الأمـور لا تراهـا، هـل بسـبب أن المدمـن لا يشـعر بذاتـه وإنمـا مـن هـم حولـه هـم فقـط مـن يشـاهدون تغيـره والآثـار السـلبية التـي تنعكس عليـه، هـزت رأسـها تخـرج هـذه الأفـكار مـن رأسـها، فهي تعلم أنها ليست كذلك.

تحركـت مـن مكانهـا وأخرجـت لحافـاً مـن أحـد الخزائـن الموجـودة فـي الـرواق وعـادت إلـى الكنبـة، اسـتلقت هنـاك وهـي تحـدق للسـقف تـارةً وأخـرى النافـذة، وضعـت يدهـا علـى جبينهـا مـكان التقـاء شـفاه مـارك، أطلقـت نفسـاً ثـم اسـتدارت لتعطـي المـكان كلـه ظهرهـا وتُقابـل ظهـر الكنبـة، أغلقـت عينيهـا لتستسـلم للنـوم بعـد أن غـادرت القضيـة ذاكرتها.

مادلين

(14)

«ما هذا الهُراء الذي يحصل أمام عيني، أتى ذلك الحقير إلى شقتي ويهددني وبعدها ذهب إلى مركز الشرطة ليطلق أكاذيباً لا معنى لها في الحقيقة... ويهدنني أيضاً هناك يا لهذه الجرأة.» هذا ما قالته السيدة مادلين وهي تصعد الدرج متوجهة إلى شقتها.

أوقفها خوان رجل الأمن قائلاً لها خافضاً رأسه: «أشعر بالأسف تجاه السيدة كلير، خالص العزاء لكِ لأنها كانت صديقتك المقربة، فلترقد روحها بسلام. ان احتجتِ إلى أي شيء السيدة مادلين فأنا هنا في الخدمة.»

لم تهتم السيدة مادلين لما قاله، نظرت إليه بنظرة تهميش لأنها لا تهتم له كثيراً وترا بأنها الأفضل دائماً. تابعت خطواتها على الدرج حتى وصلت أمام باب شقتها. توقفت قليلاً قبل أن تفتح الباب، مطأطأة رأسها تحدق بباب شقة كلير بطرف عينيها دون أن تحرك رأسها كأن

هنالك أحداً ما بجانبها، بدأ عقلها بإعادة أحداث اليوم، وقبل أن يُكمل ذلك العضو كل الأحداث فتحت الباب ودخلت لشقتها وقد كان الوقت متأخراً، لم تكن تشعر بأي شيء وقتها ولم تكن تود أن تشاهد التلفاز أو تناول الطعام أو فعل أي شيء، دخلت إلى غرفتها واستسلمت لجاذبية السرير سريعاً بعد أن وضعت هاتفها على المنضدة التي بجانبه. دُفعةً واحدة اصطدمت بها ذكريات الماضي، أولاً بعودة الساعة إلى الوراء وقت رؤية صديقتها كلير على ذلك السرير الطبي المخصص لسيارات الإسعاف غير المريح، ثم سنينٍ إلى ماضٍ ظنت أنها قد تناسته. يا لأسف موقفٍ يجر ورائه ذكرياتٍ تناسيناها رغماً عنا لتستمر الحياة بنا. كأشعة شمسٍ تصافح شوارع المدينة المُبللة بالماء في أول الصباح وتعكس أضواءً لا تفسير لجمالها، هكذا هي تتذكر مادلين ابتسامة ابنتها التي سبقها الموت قبل أن تعيش عمراً كافٍ في هذه الحياة. كدفء أشعة الشمس الهاربة من تشققات الغيوم الداكنة في فصل الشتاء التي تلامس وجوه من يرفعوا رؤوسهم باحثين عن مصدرٍ للحرارة يقيهم في هذه الأجواء الباردة، تتذكر لمسات زوجها التي كانت لا تدفء فقط مكان لمسها وإنما جسدها بالكامل يشعر بنشوة الدفء بعد أن يتسلل الشعور من تلك المنطقة إلى كامل الجسد. أما صديقتها كلير فقد أنعش ابنها ماكس ذكرياتٍ أخرى ليست كلها جميلة بتهديداته، فبعضها سوف تضع مادلين وسط أضواءٍ ساطعة أكثر مما ينبغي

يُصعب تظليلها، كشريط سينمائي يُعرض أمام المشاهد ترا هي بعضاً من مواقفٍ قد حدثت بينها وبين كلير، تركض سريعاً كأنها عجلةٍ يقودها الوقت لتعيش أكثر لحظاتٍ مؤلمة في وقتٍ قصير لا يذكر. ان أردنا إيقاف شيء ما فنستطيع إغلاق أعيُننا لينعدم كل شيء، لكن مع الذكريات فهي تُصبح أكثر وضوحاً في تلك الظُلمة وتولد من جديد لنعيشها بتفاصيلها، لا شيء يوقفها إلا الوقت نفسه، بإمكاننا انتظار مرورها حتى تتركنا بعد الدمار الذي خلفته كالعاصفة تماماً. لا تعرف مادلين ما حجم الورطة التي أوقعها فيها ماكس، ولا تعرف ما قاله للضابط شيلسي، تُطبق جفنيها بقوة حابسة دموعها بالداخل. بمشاعرٍ متضاربة تريد من الوقت أن يمر ليأتي الغد وفي الوقت ذاته تود لو أن يتوقف هنا، في هذه الثانية يتجمد لا يُحرك ساكناً حتى تستطيع هي التفكير قليلاً بعد أن تحصل على الراحة التي يحتاجها ذهنها لتُراجع مع ذاتها ما قد سوف يحصل في المستقبل القريب لدى لقائها بالضابط شيلسي.

أغلب الأوقات لا نشعر بمرور الوقت، ومن يشعر هم أولئك الذين أنهكتهم الحياة بما تُلقيه عليهم. هذا هو حال مادلين الليلة، فهي تتقلب على السرير وتشعر بمرور الدقيقة بعد الأخرى، مُستلقية على جانبها تُشاهد الأرقام ذات اللون الأبيض في الساعة وهي تتحرك بعد حينٍ من موعدها. هناك فراغ من الوقت في ذهنها منذ أن استلقت على السرير حتى هذه اللحظة التي سمعت بها صوتاً

خارج الغرفة، لم تكن تعلم إن كانت في حلم أم أنها قد نامت بالفعل واستيقظت للتو على هذا الصوت، لم تنتبه للوقت قبل ذلك أو حتى الآن، فمن ينحبس بذكريات الماضي يُصبح سجيناً قد غفل عنه الوقت كونه حبيساً في سجنٍ قد صنعه هو بنفسه بسبب نبض تلك اللحظات بالحياة مرةً أخرى.

لم تمر سوى ثوانٍ بسيطة حتى سمعت اسمها مُنبعث من داخل منزلها لكن ليس بغرفتها بشكل همسٍ: «مادلين!»

شهقت فوضعت يديها على فمها كي تمنعت صدور أي صوت وأثناء ذلك قد توسعت عينيها من الخوف الذي بدأ يتسلل بداخلها، استقامت هي وبسرعة نهضت من السرير بحذر مساوٍ كي لا تصدر ضجيجاً قد يدل على وجودها لمن هو في منزلها، تصوب عينيها على خزانة ملابسها ومن ثم باب غرفتها، تفكر سريعاً وتحسبها في ذهنها ان كان عليها التحرك سريعاً لتختبئ في خزامة الملابس أم تُغلق الباب ومن ثم تختبئ هناك.

خشت من أن يصدر باب غرفتها صريراً يفضحها ولذلك تحركت ناحية الدولاب، دفعته قليلاً دون أي مجهود لينزلق الباب قليلاً فدخلته وأعادت غلقه على ذاتها وهي بذلك تنتظر الأسوأ وما قد يحصل، جلست تحت ملابسها المعلقة التي تلامس رأسها وهي تضع يداها على فمها وأنفها، كأنها تمنع ذاتها من التنفس لربما أنفاسها تصدر ضوضاءً أعلى من ضوضاء المدينة التي هي فيها، مرةُ أخرى تسمع الصوت يُنادي على اسمها لكن هذه المرة

قد اقترب أكثر من غرفتها، تغلق عينها وهي تشعر بقطرات العرق وهي تنزلق خلفاً على عنقها تسلك طريقاً حتى ظهرها، وجبينها بعضاً منه يتجه للأسفل والكثير يبقى كأنه قطرات ندى على الأوراق الخضراء. رسمت ما قد سوف يحدث في الدقائق القليلة القادمة في مخيلتها، تعلم بسنها هذا لا تستطيع مقاومة القاتل، عقلها قد استسلم بالواقع الذي لا فرار منه أما جسدها فيخبرها بأنها تستطيع بذل جهداً لتقاوم ما أن يقتحم مخبئها.

بأطرافها بدأت بتحسس المكان الصغير الذي تجلس فيه القرفصاء باحثة عن أي شيء تستطيع أن تستخدمه للدفاع عن نفسها، بعد بحثٍ قصير لامست عصا من حديد علمت بأنها التي تخص المدفأة، وبيدها الأخرى راحت تبحث عن هاتفها لوهلة ظناً منها أنها قد جلبته معها وأسقطته هنا لكنها قد تذكرت بأن لا يزال هناك في الخارج. شعرت بالهزيمة وأنها هالكة لا محالة، فسوف ينقض عليها القاتل ويقتلها كما قتل صديقتها كلير، بهذا الصمت المُصاحب بصوت خطوات ذلك الشخص البطيئة تكاد تسمع صوت دقات قلبها المتسارعة، أعادت يدها الأخرى نحو فمها ولم تمض الدقائق حتى فُتح باب غرفتها أكثر عن سابقه.

سمعت اسمها بوضوح منه: «مادلين...»

الهلع بدأ يتسارع كنبضات قلبها الذي على وشك الخروج من مكانه، قطرات عرقها كأنها شعرت بالخوف هي أيضاً لأنها قد توقفت ولم تعد تتحرك، مثل جسدها

الـذي قـد شُـل حركتـه وهـي فـي مكانهـا هنـا فـي انتظـار موتهـا القـادم، تتمنـى لـو كان هاتفهـا معهـا علـى الأقـل كـي تُخطـر الضابـط شيلسـي بالأمـر حتـى ولـو أنـه أصـدر ضـوءاً يفضـح مكانهـا فعلـى الأقـل ستشـعر بقليـلٍ مـن الأمـان ولـو بدرجـة واحـدة. فـي الكثيـر مـن المواقـف، بصيـص الأمـل يشعرنا بالأمان.

علـى بغتـة منهـا وهـي فـي مكانهـا مشـلولة الحركـة بسـبب الخـوف فُتـح بـاب الخزانـة، رفعـت رأسـها سـريعاً لتنظـر إليـه لكـن الظلمـة تسـود المـكان، لـم تمهلـه وقتـاً ليبـدي ردت فعـلٍ حتـى نهضـت هـي مـن مكانهـا وانقضـت عليـه بكامـل قوتهـا بالرغم من أنها تعلم نهاية هذه المعركة.

(15)

كانت تصارعه بكل ما أوتيت من قوة، لكن سنها قد تجاوز الستين فليس لها نصيباً من الفوز في هذه المعركة، وقتها لم تكن تسمع شيئاً خارجاً، صوتها الداخلي الذي كان يصرخ بكل قوة «عليكِ النجاة يا مادلين» كان أعلى بكثير من أي شيء وحتى تبعثر الأشياء وسقوطها أرضاً لم يكن لها صوتاً يصلها. استطاعت أن تسقطه أرضاً أو أنه قد سقط بفعل الأشياء التي قد تبعثرت في الغرفة، وقد انتهزت هذه الفرصة وراحت سريعاً ناحية الباب، الخوف كان ضدها وهذا قد كان سبباً في بطء حركتها بالإضافة إلى الإجهاد في التشابك مع ذلك الرجل.

لم تصل بعيداً حتى أمسكها الرجل وأحكم قبضته حتى لم تستطع فعل شيء، أدار بجسدها كي يلتقيا وجهاً لوجه وهنا صرخت مادلين قائلة: «أيها الحقير يا ماكس، ما الذي تفعله هنا في شقتي؟»

أجابها ماكس وهو يلتقط أنفاسه: «هل نسيتِ يا مادلين؟»

قالت مادلين بغضب وأنفاسها لا تكاد تستطيع أن تلتقطها: «اتركني يا ماكس وفكَّ يدي الآن.»

ردَّ سريعاً: «سوف أدعك لكن لا تفعلي أي شيءٍ جنوني قد يجلب لكِ المتابع ولي أيضاً.»

قالت: «لقد جلبت المتاعب بنفسك بعد دخولك شقتي في هذه الساعة المتأخرة من الليل يا ماكس.»

قال لها وهو يتركها: «أنت من أخبرني بأن عليَّ القدوم إلى الشقة في الحال...»

قاطعته مادلين وهي تبتعد بخطواتها منه: «هل جننت يا ماكس؟ لقد كنت نائمة وبعدها سمعت صوت دخول أحدهم المنزل وهربت إلى الخزانة. لا تكذب وتقول بأني أخبرتك بالقدوم.»

قال ماكس وهو يخرج هاتفه من جيب بنطاله: «لا أكذب عليكِ يا مادلين، أنظري إلى الهاتف وسوف ترين رسالة نصية قد وصلتي قبل ساعةٍ تقريباً، لا تنكري ذلك وكل شيءٍ موجود في الهاتف...» مد يده ناحيتها وقال: «...هيا أنظري بنفسك.»

قالت: «لن أنظر إلى هاتفك وسوف أذهب لغرفتي لرؤية هاتفي، لكي أريك بأني لا أكذب.»

تحركت مادلين ناحية غرفتها أما ماكس راح يجلس في صالتها منتظراً إياها لحين قدومها، دخلت هي غرفتها

وشاهدت الفوضى التي خلفها التشابك مع ماكس، كان العراك لثواني أو ربما دقيقة لكن الأشياء المتساقطة تنكر ذلك الوقت القليل، راحت ترفع الأشياء من طريقها وتعيدها إلى مكانها قبل أن تتوجه نحو هاتفها، بعد وصولها إلى هناك جلست على السرير أولاً وأخذت نفساً عميقاً حابسة دموعها بداخل عينيها، تريد استيعاب ما حدث وفي الوقت ذاته تريد أن تتمالك ذاتها كي لا تتأخر عن ماكس ويبدأ بتأليف سبب تأخرها بنفسه، تناولت الهاتف وخرجت من غرفتها قاصدة صالتها عند ماكس.

ظلت واقفة أمامه وهي تبحث بهاتفها وبعد أن دخلت لمحادثته وقرأت الرسالة جلست قبل أن تسقط وقالت له: «هل ما أقرأه صحيحاً؟»

أجابها: «لقد أخبرتك يا مادلين، قرأت الرسالة التي أخبرتني فيها بالقدوم وأتيت سريعاً.»

ظلت صامته وهي تعيد قراءة الرسالة بعينيها: «أنقذني يا ماكس، القاتل في المنزل وعليك أن تأتي حالاً.» رفعت رأسها ناحية ماكس وقالت: «لم أكن أنا يا ماكس، عليك تصديقي... لم أكن أنا...»

قال لها: «إن لم يكن أنتِ فمن فعلها إذن... لا يوجد أحد سواكِ في المنزل.»

أجابت: «لا أعلم... لا أعلم...»

سألها ماكس: «هل تعلمين أن الباب كان مفتوحاً عند وصولي؟»

اتسعت حدقتا مادلين وقالت: «هل تتحدث بجد يا ماكس؟»

أجاب: «ولماذا أكذب الآن؟ لقد كان الباب مفتوحاً يا مادلين... هل تركته كذلك بعد دخولك للشقة؟»

قالت له: «بالطبع لا، لست مجنونة لأترك باب منزلي مفتوحاً لكي يدخل الغريب إليه. أنا على يقين بإغلاقي الباب بعد دخولي وهذا ما أفعله دوماً.»

قال ماكس: «ربما اذن كُنت في نوبة من نوباتك التي تغيبين فيها عن ذاتكِ.»

وضعت يدها على فمها وسألته: «تعلم بالأمر؟»

أجابها: «نعم أعلم بذلك... على أي حال علينا الاتصال بالضابط شيلسي واعلامها بالأمر.»

قالت مادلين وهي تهز رأسها: «فكرة صائبة... هذا أذكى ما خرج منك منذ مدة يا ماكس.»

أخذت هاتفها وقد تواصلت بالضابط شيلسي، فشلت المحاولة الأولى حيث أن الظلام قد استوطن السماء، نظرت إلى الساعة وقد علمت للتو بأنها قد تكون نائمة نظراً للوقت حيث أنها قد قاربت الساعة للخامسة صباحاً. قررت أن تعاود الاتصال بها علها تجيب وإن لم تردَّ عليها فسوف تتواصل مع مركز الشرطة، هذه المرة أجابتها شيلسي وأخبرتها أنها سوف تكون موجودة عندها في غضون ساعة وعليها البقاء في مكانها وألا تدع ماكس يُغادر ناظريها.

بعد أن انتهت من المكالمة قال لها ماكس: سوف أذهب إلى الحارس لرؤية تسجيلات كاميرات المراقبة.»

نهضت مادلين من مكانها وقالت: «سوف آتي معك.»

قال لها: «حسناً إذن هيا بنا.»

قالت: «انتظر قليلاً دعني أرتدي شيئاً.»

وبعد أن لبست كنزةً صوفية وبنطالاً قطنياً خرجت برفقة ماكس من الشقة ذاهبين إلى مقر الحارس، لم يتحدث أحد للآخر وهم ينزلان من الدرج دون أن يستخدما المصعد الموجود ليسهل عليهما مشقة النزول، وصلا لغرفته وقد أيقضاه من نومه كون أن لا أحداً يستيقظ في هذا الوقت المبكر من اليوم، انتظرا خارج غرفته لدقائق حتى خرج لهما وقادهما نحو المكتب. ليس من المفترض أن يريهما التسجيلات لكنها يعرف السيدة مادلين ويثق بها ولذا قرر أن يريهما التسجيلات بالرغم من أن المشاعر ليست متبادلة، أخرج حزمة من المفاتيح وراح يبحث عن المفتاح الصحيح ليفتح المكتب، لم يطل الأمر لأنه قد حفظ عن ظهر غيب عن كل مفتاحٍ وبابه السري. فتح الباب ودخلت قبلهما، راح يعيد التسجيل لوقت سابق لكن هناك حفنة من الوقت غير موجودة في التسجيل، الجميع نظر في وجه الآخر لأنهم علموا بأن هناك مدة زمنية ممسوحة من التسجيل.

(16)

«أخبريني ما الذي حدث لكِ بالضبط السيدة مادلين...» قالت لها الضابط شيلسي.

ظلَّ رأسها منخفض قليلاً وتحدق في أرضية غرفة المكتب لحارس المبنى دون أن يرتد لها جفن، وقتها لم تكن تسمع صوت الضابط شيلسي وهي تسألها ذلك السؤال، كانت تسمع حديثها في البداية، ولكن بدأ الصوت بالاختفاء تدريجياً حتى انعدم كرؤية سيارة تختفي بين الضباب الكثيف. يداها الاثنتين متشبثتا ببعضهما البعض ومن يراها يحسبها أنها ممسكة بلصٍ ما لا تود تركه كي لا يفر هارباً منها، تتنفس ببطء، تستنشق الهواء فتتوقف قليلاً ومن ثم تخرجه بحركة غير محسوسة كأنها هي اللص الذي قبضت عليه.

قالت الضابط شيلسي لها بعد أن قربت رأسها منها: «أيتها السيدة مادلين... هل سمعتي ما قلته للتو؟»

عادت مادلين إلى واقعها ورفعت رأسها لتنظر إلى

الضابط شيلسي وقالت لها: «عذراً... هل بإمكانكِ إعادة السؤال مرةً أخرى؟»

أجابت: «لم يكن سؤالاً سيدتي وإنما أسئلة، هل تودين أن أعيد طرحها عليكِ أم أبدأ بماكس ومن ثم أعود إليكِ؟»

قالت بصوتها المنخفض لشرود ذهنها بالرغم من أنها تجيب الضابط شيلسي: «لا بأس في ذلك، بإمكانكِ إعادة طرح الأسئلة من جديد وسوف أجيب عليها.»

قالت: «حسناً إذاً، أريد أن أعرف كل شيء، منذ بالبداية إلى هذه المرحلة.»

أجابت مادلين: «في البداية أود أن أقول لكِ بأن ماكس هو من فعل ذلك، هو من أرسل تلك الرسالة من هاتفي أثناء نومي، فعلها ليعتقد الجميع بأني مجنونة. أنا أعرفه وأعرف تصرفاته عندما يغضب، هو فعل ذلك ويريد الإيقاع بي.»

قالت الضابط شيلسي: «أخبرينا ما الذي حدث بالضبط السيدة مادلين.»

أجابت: «استيقظت على صوت خطوات أحدهم بداخل الشقة، في البداية ظننت بأنه حلم لكني اكتشفت بأنه الواقع لأني شعرت بدخول أحدهم غرفتي في وقتٍ سابق وأنا شبه نائمة، حيث إني رأيته. بعد أن تيقنت بأن هناك أحداً في المنزل قررت الاختباء في خزانة الملابس سريعاً قبل أن يدخل لغرفتي وحين دخلتها وأغلقت بابها خلفي

تذكرت بأن الهاتف ليس بحوزتي. وقتها شعرت بأني أنتظر موتي فقط، أعلم أني سوف أموت لأني كبيرة في السن، لكن تلك المشاعر التي تأتي إلينا والموت على بضع خطوات منا دون أن نستطيع فعل شيء تهدم قوتنا وتكاد أن توقف قلوبنا قبل أن يقدم الموت إلينا. هذا ما كنت أشعر به في تلك اللحظات، مع كل خطوة أسمعها وهي تعلو وتقترب كان قلبي يتوقف عن النبض ثانية، يقولون بأن الحب يوقف القلب لكن الخوف يوقف القلب ويُخرج الروح أيضاً. تناولت عصا حديدية أستعملها للمدفئة وجدتها في الخزانة وبقيت متمسكة بها، وأنا أنتظره لا أعلم ما حدث في تلك اللحظات وأنا أسمع صوته وهو يكرر اسمي، لا أعلم كم قد مرَّ من الوقت أيضاً. فُتح باب الخزانة بعد مدة لا أعلمها وهنا أخبرت نفسي بأن علي القتال بكل ما أوتيت من قوة، لست بمثل قوته لفارق السن لكن علي المحاولة على الأقل ولن أُقتل دون أن أُدافع عن نفسي، دخلنا في معركة عنيفة كانت في البداية لأن الخوف جعلني أنقض عليه كالحيوان المفترس، لكن بعد مرور وقتٍ مبهم شعرت بأن طاقتي بدأت بالخمول شيئاً فشيئاً، لم أظهر له ذلك الضعف الذي فيني وبقيت أُقاتل حتى اكتشفت بأنه ماكس ابن كلير.»

سألتها الضابط شيلسي لها: «هل تحتاجين لرعاية طبية؟»

أجابتها ساخرة: «لا شكراً لكِ، ربما أنا عجوز لكنني قوية.»

سألتها من جديد: «ما الذي حدث بعد اكتشافك بأنه ماكس هو الذي دخل للمنزل؟»

أجابت: «دخلنا في حديثٍ وأخبرني بأني قمت بإرسال رسالة نصية له قائلة بأنه عليه القدوم لوجود أحدهم في شقتي، بالطبع لم أرسل ذلك ولم أخبره بأني رأيته وهو يفعلها، أراد أن يريني هاتفه ويريني تلك الرسالة لكني أخبرته بأني سوف أذهب إلى غرفتي للتأكد منها من هاتفي وبالفعل كانت الرسالة مرسلة من هاتفي إليه...»

قاطعتها الضابط شيلسي سائلة: «ولماذا لم تريدي أن يعرف بأنكِ رأيته؟»

بعد أن سكتت قليلاً وهي تنظر يميناً وشمالاً أجابت: «في الحقيقة... كنت خائفة، وربما ان أخبرته لكنت في عداد الموتى، لذلك لم أُرد منه أن يعرف ذلك.»

أومأت برأسها الضابط شيلسي وقالت: «أكملي..»

تابعت مادلين: «...بعدها قررنا النزول للأسفل وتحديداً لغرفة رجل الأمن لمعرفة ما حدث بالضبط، لأن ماكس أخبرني أيضاً عند قدومه بأنه وجد الباب مفتوحاً وهذا أمراً أنا لا أفعله أبداً، من المستحيل أن أدخل لشقتي دون أن أقفل الباب خلفي فعلمت بأنه يكذب. قررنا النزول والتحري من الأمر لنرى تسجيلات الفيديو التي موجودة وقتها، وعندما أعاد رجل الأمن التسجيل لاحظنا بأن هنالك حفنة من الوقت ليس لها أي

وجـود وبذلـك كان التفكيـر الصائـب هـو الاتصـال عليكـم وابلاغكم بالأمر.»

ظلـت الضابـط شيلسـي علـى صمتهـا بعـد أن انتهـت مادليـن وهـي تحـدق فيهـا، لـم تـرد التحـدث حتـى تقـوم بإيصال الخطوط على النقاط في ذهنها.

أحسـت مادليـن بـأن الضابـط شيلسـي تشـك فـي حديثهـا وقالـت: «هـل أسـتطيع أن أعـود إلـى شـقتي الآن؟ فأنـا لا أشعر بالأمان مطلقاً منذ قدوم ماكس.»

أجابتهـا الضابـط شيلسـي: «نعـم بإمكانـك ذلـك، وإن تذكرتـي أي شـيء وان كان بسـيطاً فعليـك التواصـل معنـا واخبرانا بذلك. شكراً لكِ على وقتك»

قالت: «حسنا...» وإلتفت لتعود إلى شقتها.

(17)

بعد أن دخلت مادلين إلى شقتها، أدارت المفتاح ووضعت قبضتها على مقبض الباب وراحت تديره لكي تتأكد من أنه مقفل، راحت تجلس على الكنبة وقبل أن تجلس عادت إلى الباب لتتأكد من أنه مقفل بإدارة المقبض من جديد وسحب الباب مرتين، عادت وجلست على تلك الكنبة وعينيها مصوبتا على الباب، تشعر بأن شيئاً ما قد يطوفها إن أشاحت بنظرها. راحت تعيد الأحداث منذ عودتها إلى الشقة، هي متأكدة تماماً بأنها أقفلت الباب، لكنها لا تعلم من فتحته، لوهلة أحست بأنها قد كبرت بالفعل وأن الخرف بدأ يصيبها ودلالةً على ذلك أن الباب كان مفتوحاً كما يقول ماكس ولعدم وجود أي آثار بأن هناك من دخل عنوة باستخدام الشدة، وضعت يداها على أذنها لتوقف صوتها الداخلي الذي يحدثها طويلاً ويعيد مجريات اليوم، فهي تريد أن تنعم بالقليل من الراحة.

انقضت تلك الليلة وفتحت مادلين عينيها والشمس في مقدمة استقبالها، أشعة الشمس الخفيفة التي تختفي خلف الشتاء البارد في هذا الوقت من السنة، أرغمت نفسها على النهوض وراحت لتغير من ملابسها بعد اغتسالها، أرادت أن تغير المرحلة العصيبة التي تعيشها الآن، لذلك قررت أن تذهب لتحتسي قهوتها الصباحية في احدى الأماكن التي تحبها، ارتدت ما طالته يداها وهمت بالخروج من الشقة بعد أن تناولت حقيبتها والمظلة، تأكدت من أن الباب مغلقاً بعد أن راحت تدفعه مرة تلو الأخرى، فهي لا تريد أن يتكرر ما قد حدث بالأمس.

تجلس في المقهى على الطاولة التي بجانب الزجاج الأمامي تحدق بالناس الذي يتحركون نحو قدرهم. وصلت قهوتها وألقى عليها النادل التحية وقال لها: «لماذا أنت اليوم حزينة أيتها السيدة مادلين؟»

أجابته: «هناك أشياءً كثيرة تحدث في حياتي الآن ولأول مرة خلال هذه الستون عاماً التي عشتها أشعر بأني أريد شخصاً أن يكون بجانبي لأتحدث معه وأخبره عن هذه الأمور، حملاً ثقيلاً أهلك قلبي وكسر عظامي وأريد أن أشاطره أحداً.»

ردَّ عليها: «بإمكاني سماعكِ السيدة مادلين وبإمكانكِ إخباري ما تشائين، لأني أراكِ كوصفكِ لذاتك.»

قالت بعد أن أحست بأنها قالت الكثير في هذه

المحادثة التي لم تستمر لدقيقة ربما: «أشكرك يا بيتر، أنت بالفعل انسان طيب، لكني لا أستطيع التحدث الآن، ربما في المستقبل القريب. بالرغم من أن ما تلقيه الحياة علينا من مصائب قد تكون ثقيلة ويصعب حملها إلا أنها تفتح أعيننا لأشياءٍ لم نكن تعلم بوجودها وتُعلمنا بأننا أقوى مما كنا نتصوره، لا بأس بأن تحمل مشاكلك الثقيلة فوق ظهرك.»

ردَّ عليها بيتر: «وأيضاً لا بأس بأن يُشارك الإنسان حمله انسانٍ آخر، الكثير من الأشياء التي تُرهقنا هي أسباباً رئيسية في انحدار صحتنا وانكسار آمالنا واختفاء أهدافنا في الحياة، لا أريدكِ أن تصلي لتلك المرحلة أيتها سيدة مادلين. أنت تعلمين بقصتي وأن أبي قد شعر بأن عليه الصمت وعدم مشاركة ما يحدث له لأحد، ونتيجة ذلك كانت وخيمة لأنه أنهى حياته بنفسه، وقد وجدته أنا عندما كنت صغيراً وتلك اللحظة كانت سبباً في تغير حياتي تماماً.»

قالت له مادلين مبتسمة: «شكراً لك يا بيتر مرةً أخرى، وحينما يحين الوقت سوف أعلمك بكل ما يخفيه قلبي، لكن ليس الآن.»

غادرها بيتر ليتابع عمله وظلت هي بصحبة قهوتها، وعادت إلى عادتها بالتحديق بالمارة، توقف ناظرها على شخصٍ يقف بعيداً يحدق فيها، بنطالاً أسوداً ومعطف باللون ذاته، قبعة تمنعها من التعرف عليه لأنه قد أنزلها كثيراً ويرتدي نظارةً سوداء اللون، لا ترى من وجهه شيئاً

سوى النصف السفلي. تحاول أن تدقق على هيئته وتعود لذاكرتها علها تستطيع أن تخمن من هذا الشخص لكن لا شيء يسعفها في الوقت الحالي، ظلت تراقبه لبعضاً من الوقت لا تعلم مدته حتى قاطعها بيتر بعد أن سألها ان كانت تريد شيئاً، أشاحت بنظرها من ذلك الرجل لتشكر بيتر وتخبره بألا تريد شيئاً سوا الحساب وبعدها عادت مرةً أخرى لتنظر عبر الزجاج نحو الرجل وإذا بها لم تره واقفاً هناك، فقد اختفى تماماً في تلك الثواني.

خرجت من المقهى وبدأت تسير نحو المكان الذي كان يقف فيه ذلك الرجل، الجانب الآخر من الشارع، لا تعرف لماذا ذهبت إلى هناك، بالرغم من أنها تخبر ذاتها بأنه لا يوجد أي أثر أو رسالة تركها ذلك الرجل لها إلا أنها تود أن تكون فيها لمجرد الفضول علَّ شيئاً ما ينبض في ذاكرتها. بعد أن وصلت توقفت لبرهة وراحت تنظر إلى المقهى وتحديداً المكان الذي كانت تجلس فيه، لم ترا شيئاً يلفت النظر أو رسالة تدل على شيء، بعد لحظات من الوقوف والنظر أخرجت هاتفها بعد أن وصلها اشعاراً بأن هنالك رسالة جديدة قد وصلت، فتحت الهاتف وقد كان المرسل غير معلوم أي أن لا رقماً واضحاً على الشاشة، لمست الإشعار على شاشة هاتفها فإذا بها ترا صورةً لها وليست أي صورة، إنما صورة لها الآن وهي واقفة في هذا المكان تحديداً، كأن هنالك من التقطها من الخلف. استدارت سريعاً لترى ان كان هناك أحداً ما خلفها لكنها لم تجد شيئاً، صوت جديد يصدر من الهاتف

ينبهها بوجود اشعارٍ جديد وإذا بها صورةً أخرى وهذه المرة من الأمام، شعرت بالارتباك وقررت الهرب إلى منزلها، فهي لا تريد أن تهدر المزيد من الوقت وأن تكون على مسافة قريبة من الرجل الذي قد يكون القاتل.

ماکس

(18)

«ما هذه الساقطة التي تحاول قوله للضابط شيلسي، تشعر بأن صوتها لا يُسمع لكنه عالٍ أكثر من ضوضاء هذه المدينة اللعينة التي أنا فيها، ما هذا الذي يحدث الذي قلب حياتي رأساً على عقب أكثر مما هي كانت مع والدتي. اني أسمعها بصوتٍ واضح وهي تقول بأني أنا من دخل لغرفتها وأرسل تلك الرسالة من هاتفها وأنها قد شاهدتني وأنا أفعل ذلك، أما أنا ليس لدي دليلاً يتصادم مع ما قد قالته، وهذا هدفاً جديداً يصبح الآن على ظهري لكي ينالوا الشرطة مني. كنت في منزلي وحيداً لست بصحبة أحد كي يثبت وجودي، ربما الكاميرات الموجودة في الرواق التي قد تثبت ذلك لكني... لن أسبق الأحداث حتى تأتي إلي الضابط شيلسي وتطرح أسئلتها بنفسها.» هذا ما بدأ يقوله ماكس بذاته وهو يسمع ويرى الضابط شيلسي والسيدة مادلين يتحدثان عما حدث الليلة.

بعد ان فرغت من السيدة مادلين وعادت إلى شقتها، توقفت قليلاً لتعيد النظر في دفتر ملاحظاتها وترا ما قد دونته، أضافت القليل من الكلمات في الصفحة التي تليها ومن ثم قلبت لتبدأ صفحة جديدة. توجهت إلى ماكس وهي تشعر بتوتره وتنظر في الوقت ذاته إلى زميلها جون الذي أرسل لها ابتسامة تسبق أحداثها.

توقفت أمامه وقالت له: «هل بخير يا ماكس؟ هل تحتاج إلى رعاية طبية بعد تلك المعركة مع السيدة مادلين؟»

حرك رأسه نافياً.

قالت له: «حسناً إذن، سوف أطرح عليك بعض الأسئلة وأريد منك أن تجاوبني بصراحة، بالضبط كالمرة السابقة. هل هذا مفهوم يا ماكس؟»

أومأ برأسه.

قالت الضابط شيلسي: «عليك أن تتحدث يا ماكس، فتحريك الرأس ليس جواباً واضحاً كما تعلم.»

تنهد قليلاً وقال: «حسناً، سوف أجيب على الأسئلة بكل مصداقية.»

قالت وهي تفسح الطريق من أمامه: «هيا لنجلس وبعدها سوف أبدأ بطرح الأسئلة.» وبعد أن جلسا ولاحظت بأن توتره قد تلاشى قليلاً: «هيا يا ماكس أخبرني بالذي حدث منذ البداية.»

بدأ ماكس بسرد ما حدث: «كنت في المنزل دون نومٍ

صاحب جفناي، جالس محاذاة النافذة أشاهد الأمطار المتساقطة. فجأة أشاهد اسم السيدة مادلين على شاشة الهاتف وإذا هي برسالة نصية تخبرني فيها بإنقاذها لأن القاتل في شقتها، فهرعت سريعاً لخارج المنزل أجري...»

قاطعته الضابط شيلسي: «ولماذا لم تحاول التواصل معنا كي نكون هناك أيضاً؟»

ارتبك ماكس قليلاً وقد بان صمته، ثم أردف قائلاً: «لأني لم أكن أعلم ان كان ما قالته حقيقياً أم أنها تود الإيقاع بي، وفي الوقت ذاته بأن هذا ما يحدث كله غير مألوف أي أنه شيء لم يعتده أي منا فبكل تأكيد لن نستطيع أن نفعل الأشياء البديهية التي من المفترض أن نفعلها وقتها، وبعد أن نفكر بالأمر ندرك بأنه كان علينا فعلها.»

أومأت الضابط شيلسي برأسها وقالت: «حسناً... أكمل حديثك.»

تابع ماكس: «وصلت للمبنى وقد دخلته لأني لا أزال أملك مفتاح والد... والدتي... وتوجهت سريعاً نحو شقتها وقد وجدت الباب مفتوحاً...»

قاطعته الضابط شيلسي من جديد: «وهنا هل فكرت بأنه عليك التواصل معنا؟»

أجاب: «أيضاً لا بسبب الخوف الذي كان بي.»

أومأت برأسها دون أن تقول شيئاً.

أكمل ماكس بتوتر وهو يشعر بأنها تحاول أن تغلق

عليه كل المخارج: «لقد تقدمت بخطواتي البطيئة بعد أن رأيت الباب مفتوحاً لأني كنت على يقين بأن أحداً ما في المنزل، وبعد أن ألقيت نظرة في المكان وتأكدت من خلوه بدأت بالتوجه لغرفة مادلين للتأكد من موقعها لأنها لم تكن في أي مكان آخر كنت فيه، هنا بدأت بمناداتها بصوتٍ خافت تحسباً من وجود أحدٍ ما في غرفتها غيرها، فتحت باب غرفتها فلم تكن على السرير وشككت بأنها قد سمعتني وأنها تختبئ في مكان ما، فأين عساها أن تكون في هذه الوقت المتأخر من الليل. ذهبت ناحية الخزانة وها هي تختبئ هناك وإذا بها تقفز علي قبل أن أتفوه بكلمة وتبدأ بالقتال، معركة قصيرة خضناها واستطاعت أن تسقطني أرضاً، نهضت سريعاً من مكاني كي لا تخرج وتبدأ بالصراخ واتهامي. استطعت امساكها واسكاتها بعد أن شاهدت أني ماكس ولست أحداً آخر يود إلحاق الأذى بها، أخبرتها بأنها هي من أرسلت لي رسالة نصيةً تخبرني بأن علي القدوم لوجود القاتل، لكنها أنكرت بالطبع ولم تصدق إلا عندما ذهبت إلى غرفتها للتأكد من هاتفها، وبعد أن اكتشفت ذلك قررنا الذهاب على الحارس لمشاهدة تسجيل تلك الليلة ولكن كما تعلمين بأن الوقت ذلك ليس له وجود في التسجيل.»

قالت الضابط شيلسي بعد أن فرغت من تدوينها: «أدرك من حديثك بأنك كنت وحيداً في منزلك وقت وصول الرسالة إليك من هاتف مادلين، هل هذا صحيح؟»

أومأ برأسه فلاحظ صمت الضابط شيلسي فتذكر

بأن عليه الحديث فقال: «نعم كنت وحيداً في شقتي.»

سألته: «هل هناك أحداً يستطيع أن يثبت بأنك لم تكن هنا وقتها؟»

قال لها: «أليست أحاديثي كافية لذلك.»

أجابته: «الأمر ليس بيدي يا ماكس، هذه هي الإجراءات التي علي اتباعها وأيضاً أن أجد الأدلة الكافية قبل أن أحكم على الأمر.»

قال: «كما قلت سابقاً أني كنت وحيداً ولم يكن أحداً معي.»

قالت له: «هل كنت على الهاتف مع شخص أو أي شيء، حتى الأمور البسيطة يا ماكس سوف تساعدك هنا.»

أجاب والتوتر الآن لا يستطيع اخفاءه: «لا أعلم أيتها الضابط شيلسي، لقد كنت وحيداً... جالساً لوحدي كما هي حياتي بعد أن نفر الكل منها بسبب أمي.»

قالت: «حسناً إذا، عليك الآن...»

قاطعها سريعاً قائلاً: «لقد وجدتها.»

ردَّت عليه: «ما الذي وجدته.»

قال بسرعة كي لا تهرب الكلمات منه: «الكاميرات الموجودة في المبنى الذي أقطن فيه يوف تثبت لكم بأني كنت وقتها في شقتي وأني لما أغادر إلى بعد تلقي تلك الرسالة النصية اللعينة.»

قالت له الضابط شيلسي: «هل نستطيع الذهاب أنا وزميلي جون معك؟»

أجاب: «نعم، بكل تأكيد.»

قالت: «حسنا إذن، اذهب معه بسيارته وسوف أتبعكما بسيارتي.»

وبذلك تحرك ثلاثتهم للمبنى الذي يقطن فيه ماكس، هو برفقة جون، وهي وحيدة في سيارتها تشعر بأنها قريبة من حل هذه القضية التي بدأت برسم ذاتها وبذلك سوف تعود إلى حياتها الخاصة التي تحاول بقدر المستطاع الهروب منها.

(19)

«ما هو عملك بالضبط يا ماكس؟» سأله جون زميل الضابط شيلسي.

أجابه ماكس دون اكتراث: «أنت تعلم... القليل من هذا وذاك.»

ردَّ عليه جون: «لم أفهم ما هو القليل من هذا وذاك، هل تستطيع أن توضح أكثر.»

قال ماكس: «أفضل ألا أتحدث عن طبيعة عملي الآن، كل ما أريد التركيز فيه هو حل هذه القضية كي أنعم بالراحة التي أستحقها.»

قال له جون باستنكار: «وماذا عن والدتك؟ ألا تود أن تحل هذه القضية كي تنعم هي بالسلام أيضاً بعد اكتشاف القاتل؟»

أجاب ماكس: «نعم أود ذلك بكل تأكيد، لكني لن أنكر بأنها جعلت حياتي جحيماً وأنا لا أستطيع أن أقول أي شيء لأنها في نهاية الأمر هي أمي، فدائماً ما تلعب

ورقة الأم التي تضحي لابنها والتي تفعل المستحيل كي تخسر أي نقاشٍ أو معركة معها. هي كانت تود أن تنتصر بأي ثمن وتستلذ بطعم الإهانة. هناك أشخاص في هذه الحياة لا يودون فقط كسب معركةٍ ما وإنما بهم تلك الشخصية بداخلهم ذات اضطرابٍ ما لا نعرفه، تجعلهم يشعرون بنشوة وهم يرون أقرب الناس إليهم يشعرون بالألم والحزن والذل من خلال أفعالهم، كأن إذلالهم هواية تُمارس وقت الفراغ أو الملل.»

تعجب جون من حديثه لشعوره بأن هناك مكانٍ ما في قلبه يحمل كرهاً شديداً لوالدته، في الوقت ذاته يكن لها كل الحب والتقدير. لعمله في مركز الشرطة فهو قد التقى بالكثير من الناس وهو يدرك الحرب التي يخوضها الإنسان بداخله عندما تحب شخصٍ ما وفي الوقت ذاته تكرهه، معركة من الصعب أن ينتصر فيها القلب على العقل والعكس.

قال له جون بعد القليل من الصمت: «أتفهم مشاعرك تماماً يا ماكس...»

قاطعه ماكس: «لا... لم تفهمها ولن تفهمها ما لم تمر بموقفٍ كهذا وتعيشه. تلك المقولة بأنك تتفهم شيءٍ ما لتحاول أن تقلل من حزن أو معاناة هذا الشخص هو أمر ذات ألم يُصعب احتماله، هذه الجملة الصغيرة التي من المفترض أن تساعد في تخفيف معاناته، تثقب القلب وتخلق فجوة لا تُسد. لذلك أرفض تماماً شعور التفهم هذا، أعتذر ان كنت تشعر بأن ردي وقح لكن هذه هي الحقيقة.»

قال جون: «لا بأس، بإمكانك قول ما تريد فأنت هنا لست في تحقيق أو استجواب، على أي حال أشعر بأننا وصلنا لمنزلك.»

أطل ماكس من النافذة وقال وهو يشير بإصبعه: «نعم هذه هي بنايتي وتلك هي شقتي.»

ترجلا من السيارة وظلا واقفين عندها ينتظران الضابط شيلسي، لا يود أن يفتح فمه جون لأنه يشعر بأن لن يجلب شيء سوا انفطار القلب لماكس، فالحديث ليست أحد صفاته القوية التي لديه، في كل مرة يشعر بأنه يحاول التواصل مع أحد ما ليفتح له قلبه تكون ردة الفعل عكس ذلك تماماً. بدلاً من أن يفتح الشخص الآخر قلبه له يُغلقه تماماً، وبعد أن يدرك ما فعل يبدأ تدريجياً بالانسحاب من الحديث ويفضل الصمت على قول كلمة أخرى قد تضر الطرف الآخر. وصلت الضابط شيلسي وتحرك ثلاثتهم نحو مكتب رجل الأمن للتحقق من كاميرات المراقبة، كي يجدوا شيء يساعد ماكس في اثبات موقعه أثناء تلقيه الرسالة من السيدة مادلين. ساعدهم حارس الأمن وجميعهم تفاجؤوا من وجود حفنة من الوقت ليس لها وجود تماماً كما حدث مع الكاميرا في مبنى السيدة مادلين.

تراجع ماكس خطوتين إلى الوراء بعد أن نظر كل من شيلسي وجون له وقال: «أقسم لكم أني لم أفعل ذلك.»

قالت الضابط شيلسي: «أنت تدرك ما أن نجد دليل

بأنك أنت من قام بمسح التسجيلات فسوف يتم إدانتك.»

قال ماكس بتوتر: «كنت في شقتي عندما استلمت الرسالة النصية ولم أقم بمسح أي تسجيل من كاميرات المراقبة هنا أو في شقة مادلين. لا أعلم ما الذي يحدث في الحقيقة، وأشعر بأن هناك من يحاول أن يوقع بي في هذا الفخ.»

أجابته الضابط شيلسي: «ما الذي توحي إليه؟ هل تشعر بأن هناك من يود إيذائك؟»

قال: «لا أعلم... لا أعلم ما يحدث وأريد أن ينتهي هذا الكابوس في أقرب وقت.»

انضم جون لحديثهم قائلاً: «حسناً إذاً، سوف نتركك الآن لترتاح وسوف نبقى قليلاً هنا وبعدها نعود إلى مقر عملنا، وإن احتجناك في شيء فسوف يتم التواصل معك.»

أومأ ماكس برأسه وقال: «أنا أيضاً سوف أتواصل معكم إن حدث أي شيء.» وغادرهم.

(20)

دخل ماكس شقته وارتمى في أحضان الكنبة، سريعاً دون أن يحاول حتى غادر إلى عالم الأحلام بسبب استيقاظه لساعاتٍ طويلة وشعوره بالإرهاق التام.

استيقظ والوقت لا يزال صباحاً، في آخر الصباح تحديداً قبل انتصاف اليوم. لا يزال ممداً بجسده على الكنبة، يمسح بكلتا يديه على وجهه، يشعر بثقل قدمه ويطل عليهم وإذا به لا يزال يرتدي حذائه، يرفع قدماً ويزيل الحذاء منها ثم الجورب، بعد ذلك يرفع قدمه الأخرى ناحية يديه ليخلع الحذاء الآخر والجورب أيضاً. يرحك أصابع قدميه كأنها كانت محبوسة في سجنٍ ما، أخذ نفساً عميقاً وأخذ هاتفه ليبلغ صديقته السابقة إينيز عما حصل. قام بالاتصال بها لكنها لم تجب فأرسل لها رسالة نصية يخبرها: «أعتذر على الازعاج إينيز، والدتي قد فارقت الحياة، وُجد جسدها صباح الأمس والآن أعيش في كابوس.» بعد ذلك وضع هاتفه جانباً

ويود أن يغلق عيناه لمزيداً من الوقت لأنه يعلم بأن اليوم سوف يكون طويلاً ويريد أن يحتفظ كل دقيقة من الراحلة التي يستطيع أن يأخذها. أغلق عيناه وأدار بجسده كي يكون وجهه قبالة ظهر الكنبة كي لا يأثر على راحته ضوء النهار، ما أن استدار حتى وصل لهاتفه رسالة، عاد بجسده ومده ذراعه ناحية الهاتف ليقرأ ما أرسلته إينيز. فتحت الهاتف وإذا به يتلقى صورة من رقم غير معلوم، صورة يقف مع جون بجانب سيارته وشيلسي تمشي باتجاههم، انتصب من مكانه وراح يمعن في الصورة والنوم قد تلاشى من عينيه. بعد القليل من الوقت تذكر بأن هذه الصورة التقطت بالأمس بعد أن وصلوا جميعهم إلى هنا للمشاهدة تسجيلات الفيديو التي تم الاكتشاف لاحقاً بأنها ممسوحة، نهض من الكنبة وذهب ناحية النافذة ليلقي نظرة إن كان أحداً ما في الجوار يراقبه لكن لم يجد أي شخصٍ واقفاُ وجميع الناس يتحركون ويمشون قاصدين وجهتهم المجهولة التي لا يعلمها.

قام بالاتصال على الضابط شيلسي وما أن أجابت قال لها: «القاتل هنا...»

أجابته سريعاً: «ابقى في مكانك وأغلق باب شقتك ان كنت فيها ولا تفتحها لأي أحد حتى تسمع صوتي خارجها، سوف نأتي في الحال.»

قال على نفس الوتيرة: «ليس هنا الآن، وإنما في وقت سابق... أنا في أمان في الوقت الحالي لكني أشعر بأني لن أكون في المستقبل القريب.»

سألته: «ما الذي تقصده يا ماكس؟»

قال لها: «سوف آتي إليكم الآن وأشرح كل شيء.»

قالت: «حسناً، نحن في انتظارك... هل أنت متأكد أنك في مأمن ولا تود أن نرسل لك سيارة لتجلبك إلى هنا؟»

أجابها: «نعم، لا داعي لذلك.»

بعد أن أغلق الخط تحرك سريعاً للحمام ليغسل أثار نومه من جسده، بعد ذلك ارتدى ما طالته يداه من جديد دون أن ينتبه لتناسق الملابس، وقبل أن يخرج من شقته راح يمعن النظر في شاشة هاتفه، في تلك الصورة تحديداً والزاوية التي تم التقاط فيها الصورة. خرج من الشقة ومن المبنى الذي يقطن فيه وذهب يقف في نفس المكان الذي كان يقف فيها بالأمي مع جون وهك ينتظران الضابط شيلسي، فتحت هاتفه وراح ينظر للصورة من جديد وبحث بعينيه عن مكان قد يكون مكان التقاط الصورة هذه، شك في الشارع المقابل في الزاوية البعيدة نسبياً لكن الهواتف تنجح في التقاط صوراً واضحة عن هذا البعد. أغلق هاتفته وبدأ التحرك ليذهب لمركز الشرطة.

التقى بالضابط شيلسي ما ان وصل وقال لها: «هل نذهب في مكان لا يكون فيه أحد إلا أنتِ وجون؟»

أومأت برأسها وقالت له: «اتبعني.»

سارا في نفس المرر الذي سار له في وقتٍ سابق

وجلس في نفس الغرفة على نفس الكرسي وسألها: «لا أحد هنا يستطيع سماعنا فأنا الآن أشك في الجميع حتى ذاتي.»

قالت: «تأكد بأن لا أحد هنا إلا أنا وزميلي جون...» دخل جون بعدها الغرفة وجلس بجانب شيلسي فأردفت قائلة: «هيا يا ماكس أخبرنا ما الذي حدث خلال هذه الساعات التي افترقنا بها.»

قال لها: «أشعر بأن هناك من يراقبني وأن حياتي هنا معدودة.»

سألته: «كيف ذلك؟»

أجابها: «بعد أن دخلت لشقتي خلدت إلى النوم على الكنبة دون أن أعي ذلك من الإرهاق، نهضت صباحاً وقمت بإرسال رسالة نصية لصديقتي السابقة إينيز لإخبارها ما حدث وبعد ذلك قررت أن أعود للنوم، وقبل أن يحدث ذلك وصلتني رسالة جديدة وظننت بأنها من إينيز لكن عندما فنتحتها كان من رقم غير معلوم، وفي تلك الرسالة صورة... صورة وأنا واقفٌ مع جون بجانب سيارته وأنت تسيرين ناحيتنا، بعد التدقيق فيها علمت بأنها إلتقطت عندما وصلنا إلى المبنى الذي أقطن فيه كي نشاهد تسجيلات كاميرات المراقبة.»

علامات التعجب بانت على ملامح كل من شيلسي وجون وقالت له: «هل هاتفك معك الآن؟»

قال لها: «نعم...» وراح يخرجه من جيب معطفه.

قالت له: «أرنا الصورة من فضلك.»

شاهد كل من شيلسي وجون الصورة وشعرا بأن القضية أصبحت أكثر تعقيداً بعدما ظنت بأنها كادت على وشك أن تحل ذاتها، راحت تتمعن بالصورة وبإصبعيها السبابة والإبهام تقرب الصورة تارة وتبعدها تارة أخرى، كأن هناك إجابات عن أسئلة كثيرة في هذه الصورة. ترفع ناظرها نحو الرقم الذي تعرف تماماً بأنه ليس رقماً حقيقياً ولن يستطيعوا أن يتتبعوه.

قالت لماكس: «هل نستطيع أن نأخذ هاتفك لنقوم بأخذ نسخة من هذه الرسالة النصية ومن ثم نقوم بإرجاعه لك؟ الأمر لن يأخذ وقتاً طويلاً.»

ردَّ عليها: «بكل تأكيد، لكن كيف لي أن أعود إلى المنزل وأنا مراقب من قبل شخص ما لا أعرفه؟ وربما أنتم أيضاً كذلك مراقبون من نفس الشخص.»

قالت: سوف نقوم بإيصالك وستكون هناك دورية خارج المبنى الذي تقطن فيه إلى أن تنتهي هذه القضية، أما نحن لا تشغل بالك بنا... هل هناك شيء آخر تود إضافته يا ماكس.»

قال لها: «لا... هذا كل شيء.»

(21)

لم ينته اليوم بعد لكن أحس ماكس بثقله الكبير، مرور الوقت لم يكن بطيئاً وانما ما ألقته الحياة من أحداثٍ في الساعات الماضية كانت كفيلة بأنها تجعل يوم ماكس ثقيلاً. قامت دورية الشرطة بإنزال ماكس عند مدخل المبنى الذي يقطن فيه، أراد أن يترجل من السيارة أحد رجلي الشرطة لكن ماكس أخبرهم بأنه سوف يدخل لحاله ولا بأس في ذلك، انصاعا لأمره وأخبراه بأنهما سيكونان بداخل السيارة وأنها ستكون على مسافة قريبة جداً من المبنى وعلى مرآ تحسباً ان حدث شيئاً ما. أيضاً أعلماه بأن هناك ثلاث مناوبات، حيث إن الدورية سوف تتغير كل ثمان ساعات ولن تغادر السيارة إلا بعد قدوم الأخرى لضمان أمنه. عبر ماكس لهم امتنانه وبانت من ملامحه أنه يشعر ببعض الأمان قليلاً أكثر من أي وقتٍ سابق منذ رؤيته لتلك الصورة.

دخل المبنى ووصل أمام باب شقته، أخرج المفتاح من

جيب بنطاله مع كمية قليلة من المفاتيح الأخرى كلهم في ميدالية واحدة، وضع المفتاح في ثغر الباب وقام بلفه، وضع يده على مقبض الباب وقبل أن يديره للفتح توقف فجأة. سمع خطوات أقدام تقترب منه، شعر بالخوف لكنه لم يرد أن يظهر خوفه، لذا ظل واقفاً أمام الباب يفكر بما الذي سوف يفعله في الثواني القليلة القادمة ويقول في ذاته: «هل أهجم عليه الآن لأباغته قبل أن يفعلها هو؟ لكن ماذا لو لم يكن هو القاتل وإنما شخص ما يقطن هنا؟ أو شخصاً يزور أحد؟ هل أبقى في مكاني علَّ الخطوات هذه تبتعد عني أم لا بعدها أدخل شقتي؟ هل أدفعه بعيداً عني وأركض ناحية دورية الشرطة الآن؟ لا أعرف ما الذي توجب علي فعله. لا أعلم ان كنت سأموت الآن كما حدث لأمي.» خلال الثواني المعدودة كل هذه الأفكار كانت بداخل رأسه تلتف على بعضها البعض حتى شكلت عقداً يصعب فكها، ولا تستطيع أن تختار شيئاً بسبب عدم وضوحها بعد تداخلها ببعضها البعض. شيئاً فشيئاً بدأ يشعر بتشكل قطراتٍ من العرق على أنفه وفوق شفتيه وعلى جبهته، لا يود أن يمسحها كي لا يظن القاتل بأنه سيبدأ بالهجوم وبعد ذلك تتفاقم الأمور.

قفز ماكس من مكانه بعد أن سمع صوت الشخص الذي خلفه يقول: «هل ستظل هنا واقفاً أمام باب شقتك دون أن تدخل؟»

استدار بجسده رافعاً كلتا يديه مشكلاً قبضتين على

أتم الاستعداد أن يسدد احداهن على وجه الخصم، سرعان ما أخفض قبضتيه وقال: «لقد أخفتيني لحد الموت يا إينيز... ما الذي تفعلينه هنا؟ المكان ليس آمن لكِ أو لأي أحد.»

أجابت عليه بعد أن تقدمت بخطوة ناحيته: «لقد تلقيت رسالتك هذا الصباح فحاولت أن أتواصل معك لكن لم تجب على اتصالاتي، لذا قررت أن أتي بنفسي لأطمئن بأنك بخير.»

قال لها وهو يشعر بشيءٍ من الحب والتقدير: «شكراً لكِ على هذا البادرة الجميلة.» وصمت بعدها لأنه لم يكن يعرف ما الذي يتوجب عليه قوله أكثر.

قالت إينيز: «أقدم لك خالص التعازي على موت والدتك، أعتذر عما حصل لها.»

ردَّ عليها ماكس: «شكراً، بالرغم من أنها كانت تكرهك إلا أنك دائماً سباقة في فعل ما هو الأفضل.»

قالت له: «أنت صديقي يا ماكس، ومن واجبي كصديقة أن أكون موجودة في وقت المحن والمصاعب... هيا افتح الباب ودعنا ندخل ونتحدث قليلاً لأني أرى وجهك يرتدي الحزن دون ستارٍ أو غطاءٍ يستطيع اخفاءه.»

ابتسم قليلاً وعاد بجسده ناحية الباب وفتحته، أثناء ذلك مشاعر الحب التي أتت إليه بعد أن شاهدها كلها تبخرت ما أن وصفت علاقتهما بالصداقة، أحس بشيء ما يثقب جرحاً في صدره كان سببه انقطاع علاقتهما

كحبيبين في السابق، ظن هو بأن جرحه قد التأم بعد أن شاهدها هنا لتطمئن عليه خاصةً أن هذه هي المرة الأولى التي يلتقي فيها وحيداً دون جيمس وبيتي منذ قطع العلاقة، لكن كلماتها هذه الآن بأنهما مجرد صديقين أكدت لماكس بأن جرحه لم يشف بعد، بل لم يتماثل للشفاء أبداً. أمله بدأ كشراراتٍ تتطاير في الهواء أن تعود علاقتهما عندما شاهدها وقبل أن تتفاقم تلك الشرارات مكونة لهيب الحب خمدت قبل أن تبدأ.

دخلا إلى الشقة وسألها: «هل تريدين أن تشربي شيئاً؟»

قالت له بصرامة: «أنت اجلس هنا...» أمسكت بيده وراحت تجره خلفها ناحية الكنبة وأجلسته ثم تابعت قائلة: «عليك أن تأخذ قسطاً من الراحة ودعني أنا أدخل إلى المطبخ لأصنع كوبي من الشاي لنا.»

أحس بشيءٍ من الخجل وقال لها وهو يحاول أن يقوم من مكانه: «لا داعي لذلك يا إينيز، أنت ضيفة هنا... دعيني أقوم بذلك.»

وضعت يديها على كتفيه كي تمنعه من الوقوف وقالت له وهي تضحك: «الآن أنا ضيفة يا ماكس؟ اجلس في مكانك هنا ودعني أرتب المكان قليلاً أيضاً.»

سألها: «هل أنتِ متأكدة يا إينيز؟ فلا أريد أن أجهدك.»

قالت: «اطمئن يا ماكس، عليك أن ترتاح الآن وألا تفكر بشيء... أن تستحق من يساندك في هذه الأوقات

العصبية التي تمر بها.»

شكرها وراحت هي ناحية المطبخ، بعد دقائق قليلة عادت إليه بكوب الشاي وغادرته من جديد لترتب الشقة ترتيباً سريعاً، تضع الأشياء في مكانها في الصالة هنا، وفي المطبخ، أما غرفة النوم لم تشأ أن تدخلها كي تمنع الذكريات الجميلة التي قضتها في تلك الغرفة من أن تطفوا إلى السطح. عادت إليه بعد مرور نصف ساعة تقريباً وجلست على كرسي بجانب الكنبة التي يجلس هو عليها كي تضح حيزاً من الفراغ بينهما. هي تدرك بأن الإنسان به ثغرة تجعله يتعلق بأول شخص يقف معه أثناء مروره في فترةٍ صعبة، والتعلق يكون أسهل عندما يكون ذلك الشخص كان في علاقة سابقة معه، لذا لن تعطيه مجالاً بأن يرسم تلك الأفكار المتعلقة بعودة علاقتهما وهو في حالة الحزن هذه تحديداً، بعد انقضاء حزنه فبإمكانه معاودة هذه الأفكار لكن من المهم ألا تكون في فترة يكون قلبه معرضاً للتعلق الخاطئ أثناء الحزن.

قالت لها وهي تنظر إليه: «هل تود أن تتحدث عن الأمر.»

أجابها: «ليس لدي الكثير من المعلومات في الحقيقة، كل ما أعرفه بأن أمي قد قتلت. جارتها السيدة مادلين في هذه المتاهة معي، وهي تحاول أن تضعني في دائرة الاشتباه لأني أشعر بأن هي من يتوجب عليها أن تكون هناك. كما قلت لكِ، متاهة من الصعب أن أجد الطريق الصحيح الذي يدلني على المخرج.»

قالت: «أنا آسفة عما يحدث لك يا ماكس.»

ردّ عليها: «أيضاً نسيت أن أخبرك بأن القاتل ربما يعرف من أنا، حيث أن هذه الصورة قد وصلتني اليوم...» فتح هاتفه ودخل لألبوم الصورة وراح يريها الصورة، بعدها تابع حديثه: «لقد التقط هذه الصورة التي بها أنا والضابط شيلسي وجون، والآن هناك دورية شرطة تقف خارج المبنى كي أظل مراقباً طوال الوقت على المدار الساعة عسى أن يحدث لي شيء في الساعات أو الأيام القادمة حتى تحل هذه القضية التي لا أريدها.»

وضعت إينيز يدها على فمها من الصدمة بعد سماعها لهذا كله، صمتت قليلاً وهي تنظر إليه ثم قالت: «أنا آسف على كل ما يحصل معك، أتمنى أن تحل هذه القضية سريعاً ويتم القبض على القاتل. الأهم من هذا أن تكون أنت بأمان وألا يصيبك أي مكروه يا ماكس.»

رسم ابتسامة اضطرارية على وجهه وقال لها: «كلماتكِ هذه تعني لي الكثير يا إينيز، شكراً على قدومك وتخفيف هذا الألم.»

شيلسي

(22)

أعادت الضابط شيلسي الهاتف لماكس بعد أخذ نسخة احتياطية من تلك الرسالة النصية. غادر هو مركز الشرطة وعادت هي إلى مكتبها، وضعت كلتا ذراعيها على سطح مكتبها، أسندت رأسها فوقهما فأغلق عينيها، لا لأن تستريح، بل لتعيد أحداث كل هذه القضية بداخل رأسها في مكان بعيدٍ عن الجميع، مكان مظلم لتسلط الأضواء على المفاتيح الهامة وتلف حولها لتراها من جميع الزوايا المخفية.

بعد مرور بعضٍ من الوقت طرق زميلها جون سطح مكتبها كأنه يطرق باباً ما لإيقاظها، بعد أن رفعت رأسها قال لها: «عليك الذهاب إلى المنزل لتحصلي على قسطٍ من الراحة.»

قالت له: «لم أكن نائمة يا جون.»

سألها بسخرية: «هل كنتِ تفكرين إذاً؟»

أجبته: «نعم يا جون... كنت أفكر. ما الذي تريده الآن؟»

قال لها: «هل أنت بخير؟ إن لم تكوني كذلك فبإمكانك اعلام المسؤول بالأمر وسوف يوكل القضية لضابطٍ آخر.»

قالت بغضب: «لا شأن لكِ في ذلك، عليك أن تعلم بأن هناكَ خطوطاً حمراء لا يتوجب عليك تجاوزها. لن أسمح لأي شخص وأي كان أن يشكك في قدراتي في حل القضايا، ولن أقبل بتلك نظرات الاختلاف لأنني امرأة. أنت تدرك بأني قد نجحت في حل قضايا أكثر من أي شخصٍ هنا في هذا المركز وهذا يعني أنني لا أجعل أي شيء يشتت انتباهي عندما أمارس عملي. لا شيء أبداً.»

ردَّ عليها جون: «أنا أعتذر على كلامي لكني لم أقصد هذا بتاتاً... كل ما أردته هو...»

قاطعته قائلة: «هيا لدينا قضية لنحلها، هل تود أن تذهب معي لمكان التقاط الصورة هذه أم أذهب لوحدي؟»

أجابها: «سوف أذهب معك وأنا من سيقود.»

أثناء طريقهما للمنطقة التي يسكن فيها ماكس كانت هي تفكر. تفكر كثيراً. تفكر بأشياء تخص القضية وبأشياء لا تخصها. تفكر بمادلين وماكس. تفكر بمارك وجون. تفكر في حياتها ان لم تكن تعمل في الشرطة فهل ستكون أماً الآن؟ هل سيكون هناك عائقاً بينها وبين مارك؟ أثناء تعقد مسألةٍ ما ظننا بأننا على وشك الانتهاء منها نشعر بالشك تجاه قراراتنا التي أوصلتنا إليها، وان كنا في الطريق الصحيح، ام ان كانت حياتنا ستكون

مختلفة دونها. تردد في كل شيء ومن كل شيء حصل وسيحصل، نود ولو من قشة أن ترشدنا، تعطينا اشارةٍ ما بأن هناك طريقة لحل هذه المسألة. نتمسك بالمجهول بالرغم من أنه مخيف، مرعب لحد التراجع عن كل شيء، لكن التراجع أكثر رعباً من المجهول لأنه يعني الاستسلام، وليس طريقاً مغلقاً لا جواب له. الهرب والتراجع أسهل من أي شيء، لا يتطلب فعلهما أي تفكير مطلق، لكن عواقبهما وخيمة.

قاطعت ذاتها قبل أن تغوص أكثر في أعماقها وعادت إلى السطح، إلى القضية هذه. بدأت تحدث ذاتها: «هذا الشخص الذي أرسل الصورة لماكس، هل هو فعلاً القاتل؟ هل يلاحق ماكس من مكان إلى آخر؟ وماذا عني أنا وجون؟ ان كنا في الصورة فهل هذا يعني بأننا في خطر أيضاً؟ ربما مارك كذلك. علي التحدث معه كي يعود إلى المنزل كي يكون في مأمن من أي شيء قد يحدث. ماذا عن مادلين، هل يتتبعها كذلك؟»

أخرجت هاتفها سريعاً وراحت تتصل على مادلين، لم تنتظر كثيراً حتى أجابت هي على الهاتف. قالت شيلسي بعد أن ألقت التحية: «هل أنت بخير مادلين؟»

أجابت: «نعم... انني بخير. هل كل شيء على ما يرام؟»

قالت شيلسي: «هل هناك من يتبعكِ يا مادلين؟»

أجابتها: «ما الذي توحين إليه، بالتأكيد لا أحد يتبعـ...» بعدها صمتت، لم تكمل جملتها.

نبهت شيلسي جون قائلة: «خذ هذا المنعطف وتحرك باتجاه منزل مادلين الآن، ربما تكون في خطر.» من ثم أكملت حديثها الموجه لمادلين: «مادلين... مادلين... هل أنتِ بخير؟»

قالت مادلين بصوت خافت: «يا إلهي...»

قالت شيلسي: «أخبريني ما الذي يحدث.»

أجابت: «ما تقوليه صحيح، هناك من يراقبني...»

ردت عليها: «عليكِ البقاء حيث أنتِ والتأكد من أن باب منزلك مغلقاً... هل هذا مفهوم يا مادلين؟»

أجابتها: «نعم... مفهوم، عليكِ القدوم سريعاً.»

أقفلت الخط وقال لها جون: «ما الذي يحدث؟»

أجابت: «شعرت بأن مادلين مراقبة أيضاً بعد أن رحت أعيد النظر للأمر من زوايا أخرى، ولأكسر الشك باليقين قررت التواصل معها وبالفعل أخبرتني بأن هناك من يراقبها. لا أعلم ان كان شخصاً قد رأته أم وهم، أو أن صورة ما قد وصلت إليها كما هو الحال عند ماكس.»

قال جون: «ما هذه القضية التي تصبح أكثر تعقيداً.»

ردت عليه شيلسي: «أعلم يا جون... حدسي يخبرني بأن هناك مفاجأة قد تكون من الماضي في الطريق لا نعلمها وعلينا أن نكون مستعدين لها.»

قال لها: «علينا أن نوسع دائرة الأشخاص الذين نعرفهم ولهم علاقة بكل من ماكس ومادلين وكلير.»

(23)

وصلا عند مادلين طرقت شيلسي الباب، في وقتٍ قصيرٍ جداً فتحت الباب وقالت: «ادخلا بسرعة؟» بعد أن دخلا أطلت برأسها خارج شقتها في الرواق الخارجي وراحت تلتفت يماً وشمالاً بعدها أقفلت الباب وقالت: «هناك من يراقبني.»

قالت شيلسي: «أخبرينا كل شيء ونحن هنا نصغي إليكِ.»

قالت: «قررت صباح اليوم أن أذهب لاحتساء قهوتي وتناول الافطار في الخارج، وذهبت للمقهى المعتاد الذي أجلس فيه دائماً، هناك وأنا جلسة رحت أنظر للنافذة وأشاهد المارة كعادتي، أرسم حياتهم بنفسي. فجأة استوقفني شاباً ما يقف في زاوية الشارع المقابل، مسافة ليست بالقريبة كي أستطيع أن أميز ملامحه، أشعر حتى وان كان واقفاً على مسافة أقرب فلن أستطيع أيضاً أن أميزه لأنه كان يرتدي الأسود في كل شيء، بنطالاً أسوداً

ومعطف باللون ذاته، قبعة تعقني من التعرف عليه لأنه قد أنزلها كثيراً ويرتدي نظارةً سوداء اللون كذلك، ربما وجهه السفلي كان واضحاً لكن ليس كشخصٍ أستطيع أن أتعرف إليه عندما أراه مرة أخرى.»

قالت شيلسي: «بعد ذلك، هل حدث شيء؟»

تابعت مادلين: «أشحت بنظري عنه لثواني قليلة كي أدفع الحساب، بعد أن عدت بعيني إلى مكان وقوفه لم أجد أحدا واقفاً هناك. ظننت بأني أتوهم الأشياء وقررت أن أخرج سريعاً وأذهب إلى المكان الذي كان واقفاً فيه، بعد أن وصلت إلى هناك رحت أبحث عنه في أوجه المارة الذين هم حولي يمشون لكني لم أجده بالرغم من أن الكثير كان يرتدي اللون الأسود كما هو معروف في هذه الأوقات من السنة. أثناء وقوفي هناك وصلتني رسالة نصية على هاتفي...»

نظرت شيلسي إلى زميلها جون وكلاهما أرسلا لبعضهما تلك النظرة التي سوف يعلمون ما سوف تقولها مادلين بعد قليل، ثم أعادوا النظر إلى مادلين وهي تكمل حديثها.

«...أخرجت هاتفي وفتحت تلك الرسالة التي كانت مرسلة من رقمٍ غير معلوم وشاهدت صورتي وأنا واقفة هناك في تلكً المساحة التي كان يقف هو فيها، كانت صورة تم التقاطها من خلفي على مسافة ليست بالقريبة ولا البعيدة، التفت سريعاً ورحت أبحث عنه لكني لم أجد أحداً، فجأة وصلت صورة أخرى وهذه المرة من

الأمام. شعرت بالذعر والخوف، قررت الهرب سريعاً هنا إلى منزلي.»

قالت شيلسي: «هل نستطيع مشاهدة الصور؟»

قالت: «بالطبع...» أخرجت الهاتف وراحت تريهم الصور.

نظرت شيلسي إلى جون وقال هو: «عليكِ أن تأتي معنا إلى المركز لكي نستطيع أن نأخذ نسخة احتياطية من هذه الصور، بعد ذلك سوف نرسلكِ إلى المنزل برفقة دورية وسوف تبقى هي في الخارج تراقب المكان، وسوف يراقب الرجال من يدخل ومن يخرج كي تكوني بأمان حتى تنتهي هذه القضية.»

قالت مادلين: «شكراً لكما...» ثم سكتت قليلاً بعدها قالت: «أنا متأكدة من أنه ماكس، عليكما أن تقبضا عليه الآن.»

سألتها شيلسي: «لماذا تودين التخلص منه؟»

قالت بتوتر: «لا... ليس هكذا، وانما لا أشعر بالأمان وهو طليق.»

قالت شيلسي: «لا تقلقي، لن يقترب منكِ أبداً.»

(24)

لم يكن مزاج شيلسي يسمح في المتابعة مع السيدة مادلين، فما أن وصلوا لمقر عملهم حتى جعلت زميلها جون يتولى المهام معها إلى أن تنتهي وتخرج عائدة إلى منزلها بصحبة الدورية التي سوف تحميها إلى أن تنتهي هذه الفوضى. كانت طوال الطريق تثرثر على أشياء لا علاقة لها بهذه القضية، أكثر ما خرج من فمها كان مجرد أوهاماً، تود من كل قلبها أن توقع ماكس في حفرة لا يستطيع أن يخرج منها وهذا ما كانت تتحدث عنه أغلب الطريق ان لم يكن طوله، تخرج الكلمات من ثغرها دون أن تدع لشيلسي أو جون المجال للرد. استسلمت شيلسي للأمر أما جون فظل يحاول بين الفينة والأخرى بالمشاركة والرد عليها، ظلت هي تقود السيارة وراحت بعيداً تفكر في القضية.

بعد أن فرغت السيدة مادلين وغادرت المركز برفقة رجلين من الشرطة في احدى الدوريات قالت جون

لشيلسي: «يا لها من امرأة ثرثارة...»

وضعت شيلسي يدها على جبينها وقالت: «هي كذلك، لذا قررت أن أصمت طوال الطريق وعندما وصلنا إلى هنا سحبت نفسي منها كي لا أسمع صوتاً لها، أشعر بأن أُذني تودان أن تحلقا بعيداً عني والهرب من صوتها الذي يتكرر كأنه صدى بداخل أذني إلى الآن.»

ضحك زميلها جون وقال: «لقد أخذت نسخاً احتياطية من هاتفها، هل تودين الآن أن نذهب مكان التقاط الصور هذه؟»

أومأت برأسها قائلة: «بكل تأكيد، هذا الأمر سوف يشتتني قليلاً عن صوتها المستمر في ذهني.»

ذهبا أولا عند المبنى الذي يقطن فيه ماكس، أخذا لفة حول المنطقة مشياً على أقدامهما بدلاً من استخدام السيارة علهم يجدون شيئاً قد يرشدهم إلى هذا الشخص الذي التقط صورةً لهم، استطاعا أن يقفا في المكان الذي وقف فيه الشخص أو كلاهما يعتقدان بأن هذا هو المكان بسبب الزاوية. حاولا أيضاً مسح المنطقة هذه تحديداً عن أي كاميراتٍ للمراقبة كي يستطيعوا على الأقل أن يحصلوا على أي دليل يرشدهم إلى هذا الشخص المجهول الهوية لكنهم لم يجدوا شيء، وفي عندما وجدوا مطعماً وقرروا أن يسألوا صاحب المطعم عن مشاهدة التسجيلات أخبرهم بأن الكاميرا لا تعمل وأنها هنا فقط لإخافة المجرمين كي لا يهجموا على المكان وسرقته، لم

تتفاجأ شيلسي من فعله لأنه الكثير من أصحاب المطاعم والبقالات يمارسون هذه العادة التي سوف تضربهم في منطقةٍ حساسة في يومٍ من الأيام بدلاً من أن تفيدهم، فإن حصلت سرقة بالفعل فمن الصعب علينا معرفة من قام بالسرقة لأن لا كاميراتٍ تعمل لديهم وكلها مزيفة. ذهبا بعدها عند المقهى الذي جلست فيه مادلين هذا الصباح، دخلا لداخل المقهى أولاً وسألا من كامن يعمل هناك ولحسن الحظ كان بيتر على وشك الخروج لنهاية مناوبته وقد سمعهم، عرفا بنفسيهما وسألاه ان كانت هناك سيدة كبير في الستينيات من العمر زارت المكان هذا الصباح، أخبرهم بأنها تدعى مادلين وهي تأتي هنا كثيراً، بعد ذلك سألته شيلسي ان كان يتذكر أي كانت تجلس وأخذهما لمكانها المفضل عند النافذة، جلست هي مكانها أما جون جلس قبالتها، استأذن بيتر منهما كي يذهب وأتت نادلة أخرى تخدمها. يحتسيان قهوتهما بصمت، كلاهما ينظران من النافذة ويحدقان بأعينهم يميناً وشمالاً، ظلا على هذه الحال لمدة تجاوزت الربع ساعة، تارة يلقون نظرة على الصور ومن ثم الزاوية التي قالت بأنها قد شاهدته، الصور لن تدلهم على شي وهم واقفين هنا الآن لكن مكان وقوفها في الصورة هو مكان وقوفه في البداية عندما رأته. انتهى من القهوة وغادرا المقهى باتجاه مكان وقوف مادلين في الصورة، وكما فعلا في المنطقة التي يقطن فيها ماكس فعلى الأمر ذاته، لكنهما لم يجدا أمراً قد يفيدهما. لكن الأمر

الغريب الذي استنتجاه هو أن المنطقة بها مقاهي ومحلاتٍ تجارية أي أن الكاميرات هنا حقيقية وليست مزيفة وتعمل على مدار الساعة، لكن الأمر الخارج عن المألوف هو عندما يدخلون إلى أي مقهى أو محلٍ تجاري ليشاهدوا تسجيل الفيديو يجدون بأن الاثنا عشر ساعة الماضية ليس لها وجود، جميع المقاهي والمحال التجارية، كأنهم تعرضوا لقرصنة ومُسحت التسجيلات.

عادا إلى السيارة وقالت شيلسي: «يا لهذا الأمر الغريب، اما ان تعرضوا جميعهم لقرصنة وهذا الأمر من المستحيل أن يحدث لأن كل محلٍ تجاري ومقهى له أجهزته الخاصة وخوادمهم الخاصة وليسوا تابعين لشركة واحدة وان كان الأمر عند شركة واحدة فلنقول بأن مكانين أو ثلاثة أو أربعة وليس كلها.»

ردَّ عليها جون: «ما الذي تفكرين فيه؟»

قالت: «لا أعلم يا جون، أشعر بأني أريد أن أستريح قليلاً لكن ان استرحت فسوف أتقاعس عن أداء هذه القضية وسوف أتأخر في حلها، ومن الممكن أن يكون كل من مادلين وماكس في خطر بسبب هذا الشخص الذي يراقبهم.»

قال لها: «لا بأس ان أنهينا هذا اليوم إلى أن نتابع غداً، من جون راحة شيلسي لن نستطيع أن نركز على هذه القضية.»

رفعت رأسها تجاهه وقالت: «ماذا لو كان الشخص

هذا خبير في التقنيات وهو من مسح تسجيلات الفيديو في تلك المقاهي والمحلات التجارية، وأيضا في مبنى كل من السيدة مادلين وماكس؟ أتوقع بأن هذا هو الطريق الأمثل الذي يتوجب علينا البدء فيه.»

قال جون: «أتفق معكِ، على فريق من قسم تقنية المعلومات التدخل الآن ومعرفة ما الذي حدث لتسجيلات الفيديو، سنرفع التقرير لهم وسيقرر رئيسهم الفرق المعنية في التدخل.»

تنهدت شيلسي وقالت: «هل نعلن انتهاء اليوم ونعود أدراجنا؟»

قال لها: «بكل تأكيد.»

أثناء القيادة لاحظ جون شرودها، فهي تشرد كثيراً مؤخراً وبما أنه زميلها فهو يخاف عليها من أن يصيبها أي مكروه، أو أنها قد تخطئ في شيء ما في هذه القضية أو تفوت أمرٍ ما، يود أن يفاتحها في ذلك الموضوع لكنه يعلم أنها سوف تلتهمه بكلماتها.

لم يكترث للعواقب التي سوف تخيم على علاقتهما، أخذ نفساً عميقاً وكسر حاجز الصمت قائلاً: «هل أنت بخير يا شيلسي؟»

أجابت: «بالطبع يا جون أن بخير، أنظر إلي... أقود السيارة لا شيء بي.»

قال لها: «لا أقصد هذا الأمر... اني ألاحظ شرودك كثيراً مؤخراً، كان من المتوجب أن تأخذي إجازة أطول

بعد ما حدث لك.»

قالت: «ما الذي تقصده يا جون؟»

قال لها: «القضية الكبيرة السابقة يا شيلسي كنت حاملاً، وأثناء التحقيق واللحاق بالمجرمين استطاع أحدهم أن يغرس سكيناً في بطنك أدى إلى سقوط الحمل على الفور قبل أن يكتمل نموه حتى... لم تأخذي إجازة سوى الأسابيع القليلة الذي استغرقت فيها في معالجة ذلك الجرح.»

قالت له: «لا تتحدث في هذا الموضوع لأنه من الماضي ولن أدع شيء يعرقل عملي.»

ردّ عليها باهتمام: «أنت زميلتي وأكترث لأمرك، إني أراك مختلفة في كل مرة تغيبين عنها، هناك حزن بداخلك لم يخرج بعد. ليس عيباً أن نحزن، انت لم تأخذي أي وقت للحزن على ما أصابك، بل قدمتي إلى العمل بسرعة أن تماثل الجرح بالشفاء، وبدأتي بأخذ القضايا الصغيرة واحدة تلو الأخرى حتى وصلنا إلى هنا في قضية الشروع بالقتل هذه. إني أخشى عليك من ذاتك. دائماً ما يتماثل الجرح الخارجي بالشفاء سريعاً أما الداخلي فنحن لا نبالي به، نتركه هكذا دون معالجته أو حتى معاينته، وهو ما قد يهلكنا في أغلب الأحيان.»

أخذت نفساً وقالت له: «أعلم ذلك يا جون، لكني كامرأة في بيئة العمل هذه وهذا المجال تحديداً علي أن أبذل ضعف المجهود الذي يبذله الرجال، لذا الحزن

ليس له وجود بتاتاً في قاموسي، لأنه ان كان موجوداً فسوف يصبح عملي ركيكاً لا يقترب للكمال والدقة والذي هو ما أسعى إليه دائماً.»

قال جون: «أتفهم هذا كله لكن عليك التركيز أيضاً في حياتك الشخصية.»

أومأت برأسها وقالت: «أعدك بعد هذه القضية سوف آخذ إجازة انسى فيها العمل بعضاً من الوقت.»

ابتسم لها جون وقال: «حسناً...» وقبل أن يكمل صمته تذكر شيئاً ما وقال لشيلسي: «هل تواصلتي مع مارك لتخبيره عما حدث؟»

قالت: «ما الذي حدث؟»

ردَّ عليها: «الصورة التي التقطها الشخص ونحن واقفين خارج مبنى ماكس الذي يقطن فيه، قد نكون معرضين للخطر نحن أيضاً وعليك إبلاغه أن يكون بحذر في كل خطوة يخطوها من الآن فصاعداً حتى نفرغ من هذه القضية.»

قالت شيلسي: «ياه لقد نسيت تماماً، شكرا على تذكيرك لي وسوف أحدثه ما أن نصل.»

(25)

بعد أن وصل كل من شيلسي وجون لمقر عملهم، غادر جون أولاً وظلت شيلسي قليلاً. أخرجت دفتر ملاحظاتها من الدرج الأول في المكتب وراحت تكتب أسماء أصدقاء ماكس وهم إينيز وجيمس وبيتي، فهي تود أن تحقق معهم غداً، أخرجت هواتفهم وبدأت بالتواصل مع كل واحد منهم لتخبرهم عما حدث وتود بعض الإجابات التي قد تساعدها في حل هذه القضية. جميعهم لبوا ندائها وأخبروها أنهم سيكونون في موقعهم غداً.

تناولت هاتفها الذي كان موضوعاً على الطاولة، قبل أن تتصل لمارك راحت تنظر إلى اسمه ولبرهة من الزمن، فقط تلك المدة، أدركت بأن وجوده يعني لها الكثير لأن لا أحد سيمتلك كل هذا الصبر الذي يمتلكه هو معها رغم كل الأشياء التي تفعلها. أخذت نفساً عميقاً كي لا تدع المشاعر تتحدث عندما تتصل وراحت بإصبعها تضغط على اسمه.

لـم يجبهـا فـي أول محاولـة اتصـال وكـررت المحاولـة فأجاب عندها، قالت له: «كيف حالك يا مارك؟»

سـمعت أنفاسـه عبـر سـماعة الهاتـف وسـرت قشـعريرة في جسدها، وردَّ عليها: «انني بخير... كيف حالكِ أنتِ؟»

أجابت: «بخيـر أيضـاً...» بعدهـا ظلت صامتـة لا تعـرف كيف تفتح الموضوع وتخبره بأمر القضية.

قـال هـو مقاطعـاً الصمـت الـذي بينهمـا: «قررتـي الاتصـال كي تسألي عن حالي وتصمتين؟»

قالـت سـريعاً: «لا ليـس هـذا فقـط.... وانمـا هنـاك أمـراً أود أن أخبرك إياه.»

ردَّ عليها: «هيا إذاً أخبريني.»

أجابتـه: «الأمـر ليـس بهـذه السـهولة، لا أعـرف كيـف أفاتحك في هذا الموضوع تحديداً.»

قال لها: «فقط أخبريني.»

أخـذت نفسـاً عميقـاً وقالـت: «اسـمعني بـكل تركيـز يـا مـارك، قـد تكـون فـي خطـر وعليـك ملاقاتـي فـي شـقتي وتبيت فيهـا حتـى ننتهـي مـن هـذه القضيـة التـي أعمـل بهـا وعليك ألا...»

قاطعها بدهشة: «أنا...؟! في خطر...؟!»

أجابت: «نعم، قد تكون في خطر والآن دعني أكمل ولا تقاطعني. عليك أن تذهب لشقتي في الحال وسوف ألتقي بك هناك وأشرح لك كل شيء بالتفصيل ان أردت، عليك ألا تقف لأي شخص تساعده مهما كان الأمر. هل هذا مفهوم؟»

ردَّ عليها: «نعم، مفهوم... أراكِ لاحقاً.»

خرجت من المركز وبدأت بالتوجه نحو منزلها، تمشي سيراً على الأقدام نحو المحطة الأرضية لتركب قطار الأنفاق، وطوال الوقت الذي استغرق في وصولها لشقتها كانت تدقق في المارة أكثر من أي وقتٍ مضى، تحاول ألا تظهر الخوف الذي بداخلها كي لا يبدأ بالتسرب وينتشر في أنحاء جسدها. حينما ينتشر الخوف وتبدأ أعراضه في الظهور وبذلك تنقطع جميع سبل الثبات والوصول إلى الشجاعة. وصلت إلى شقتها وكانت على يقين بأن مارك لم يصل بعده، أرادت أن تتصل به لكنها أوقفت ذاتها كي لا تجعل الارتباك يأخذ حيزاً فيه. دخلت لشقتها وحينها علمت أن الوقت قد قارب الحادية عشر مساءً، معدتها تصدر أصواتاً لأنها لم تأكل شيئاً. طلبت الطعام لها ولمارك وقررت أن تستحم سريعاً قبل أن يصل. وصل الطعام قبل أن يصل هو، أخرجته من الأكياس ووضعته على المنضدة في المطبخ، بعدها بقليل سمعت صوت جهاز الانتركوم الخاص بشقتها، ذهبت ناحية لتجيب ورأت مارك من خلف الشاشة واقفاً، ضغطت على الزر لتفتح له باب المبنى الذي تقطن فيه فتوجهت ناحية باب شقتها وفتحته ووقفت عند الباب في انتظاره، ما ان شاهدته ابتسمت لا شعورياً فأخفت تلك الابتسامة سريعاً.

قبل أن يصل إليها، ابتعدت عن الباب قليلاً كي يستطيع الدخول، بعد أن دخل لحقت به وأغلقت الباب. قالت له: «أهلاً بعودتك.»

ردَّ عليها: «أشعر بالجوع... هل نطلب الطعام؟»

قالت وهي لا تزال تخفي ابتسامتها: «لقد سبقتك في ذلك وطلبت وقد وصل قبلك بقليل.»

وضع أغراضه أرضاً وذهبا ناحية المطبخ لتناول العشاء الذي كان متأخراً ليلتها، أثناء تناولهما قال لها: «هيا أخبرينا ما هي القضية هذه وكيف هي تؤثر على سلامتي؟»

أجابت: «بالتأكيد لن أستطيع أن أعطيك التفاصيل كلها. أعمل في قضية قتل وربما مرتبطة بجريمة إلكترونية أخرى اكتشفتها اليوم، ما أدركه هو أن القاتل يعرف أقرباء الضحية ويعرف أن يقطنوا حيث أن صوراً قد أُلتقطت دون أن يدركوا ذلك وتصلهم برقمٍ غير معلوم.»

سألها مارك: «وأين الجزء الذي أتعرض فيه للخطر؟»

أجابت: «حينما كنت مع زميلي جون برفقة ماكس نوصله لمقر سكنه، التقط شخصٌ ما صورة لنا ونظن بأنه هو القاتل كما أخبرتك، فقد وصلت تلك الصور له صباح اليوم التالي أي اليوم تحديداً، وبعد الكثير من التحري لم نستطع التوصل إلى شيء، لذا أريدك أن تكون بمأمن حتى تنتهي هذه القضية وبعدها تستطيع فعل ما تود فعله.»

قال لها: «وما الذي تودين أنت فعله؟»

سألته: «ما الذي تقصده؟»

قال: «هل تودين مني البقاء هنا حتى بعد انتهاء

القضية أم أعود؟»

دعت شيلسي الابتسامة تخرج دون أن تكترث بإخفائها لمزيدٍ من الوقت وقالت: «أريدك أن تبقى هنا معي كل الأوقات.»

ابتسم لها ومد يده ليحتضن يدها، وتابعا تناول الطعام.

مادلين

(26)

نغمات زخات المطر أثناء ملامسته للشارع يصدر صوتاً هادئاً للبعض، أيضاً على النوافذ. تفتح عينيها مادلين وهي تشعر بأن هناك شيء ما مختلف في الأرجاء ليس بسبب الأمطار في هذه الوقت من اليوم، تستقيم بجسدها على السرير وتسند ظهرها لتحاول أن تعرف ما هو هذا الاختلاف، مع ذلك ترفع رأسها لتسند مؤخرته أيضاً، تنظر حولها في الغرفة وهي تحاول أن تكتشف ذلك الاختلاف لكن لا شيء يبرز لها في هذا الظلام في هذا الوقت من الليل، السواد يطغى على كل شيء في الغرفة حتى عقلها. تنهض من سريرها، تحوم في الغرفة وتسير على شكل دائرة في سرعاتٍ مختلفة، الأصوات كلها تنعدم في هذا الوقت من الليل مع هطول المطر، تلتقط هاتفها وتخرج إلى الصالة. الساعة تشير إلى الثانية بعد منتصف الليل، تفتح الهاتف وتحاول الاتصال على ماكس، حاولت مرتين لكنه لم يجب، تود أن تعتذر له

عما حصل وعن كل شيء، لا لأن تتقرب منه أو أن يخبرها عما أخبره للضابط شيلسي وانما تعتذر لأنها تعني ذلك وتود أن تبدأ في صفحة جديدة معه، فهو الوحيد الذي تبقى من صديقتها كلير. ليست من تلك الأشياء التي يمليها عليك القلب أثناء الليل، وانما المنطق الذي دائماً ما نتجاهله ونوجه أصابع الاتهام نحو القلب، على أنه هو الذي يحدثنا ليلاً ويجعلنا ضعفاء لننصاع لأوامره.

في الصالة راحت إلى النافذة لتنظر إلى شوارع المدينة المبللة بالمطر، تستمع بهذه الأجواء من المنزل لكن تمقتها حينما تكون في الخارج كسائر الناس هنا، الاستمتاع يكون عن بعد فقط، عن بُعد شاهدت هيئة رجلٍ ما فتذكرت ما حدث معها أثناء جلوسها في ذلك المقهى، وضعت يداً على زجاج النافذة البارد وقربت رأسها حتى أنفاسها بدأت تكون غيوماً على سطح الزجاج، رفعت هاتفها وحاولت الاتصال بشيلسي لكنه لم تجب، صنعت قبضة بيدها التي كانت تلامس زجاج النافذة وضربته بخفة ومن ثم راحت تهدأ من نفسها حيث أنها شعرت بأنها تتوهم ما تراه وراحت تجلس على الكنبة. ظلت جالسة هناك والهاتف بجانبها تنظر إليه بين الفينة والأخرى، تحاول تهدئة عقلها الذي تتسارع فيه الأفكار وتجري خلف بعضها وتتصادم مسبب لها ألماً في رأسها، تمر الدقيقة خلف الأخرى ببطء شديد تود أن تمسكها بأذنيها وتسحبها لو كان لديها آذان كما يفعل الأمر مع الولد العنيد قفزت من مكانها ما أن سمعت صوت طرقات

على الباب وازاد حدة الصداع مع تلك الطرقات، نهضت من مكانها وذهبت لتفتحه قليلاً، بعد أن رأت الشخص فتحت الباب كله ودعته للدخول وقالت: «حاولت الاتصال بك يا ماكس لكنك لم تجب.»

لم يجبها فقالت: «بما أنك هنا أود أن أعتذر عن كل شيء...» وعلى بغته منها وجه لها ضربة على رأسها من الخلف أسقطتها أرضاً، استطاعت أن تركله برجلها بين فخذيه وهو يتقدم لها وبهاتفها استطاعت أن تطلب الشرطة، وما أن سمعت صوت المجيب حتى قالت: «هنا ماكس يحاول قتلي... بسرعة تعالوا...»

أخذ الهاتف من يدها ورماه على الجدار مقابل الغرفة لينكسر وقال لها بكل هدوء: «لست ماكس، وهذا هو ثمن كل الحب الذي من المفترض أن يتم مشاطرته معي وأن يكون لي... ولا ثمن أغلى من الروح والذي سيملئ جزءاً من الحب الذي فقدته.»

نزل على ركبتيه واقترب من مادلين، اختفت الحياة من عينيها قبل أن يفعل أي شيء لها، وضع يده الاثنتين على رقبتها، حاولت مادلين أن تدافع عن ذاتها لكن الضربة التي تلقتها على رأسها كانت سبباً في ضعفها ولم يعد بمقدرتها فعل أي شيء ولا حتى الصراخ، يداه بدأت تصبح ضيقة على عنقها وعلمت أنها سوف تغادر هذه الحياة ولذلك استسلمت وأنزلت يديها منه وتقبلت أمر مغادرتها هذه الحياة لتتبع من فقدتهم قبلها.

شيلسي

(27)

تصل شيلسي متأخرة لمنزل مادلين، عند اقترابها للمبنى الذي تقطن فيه راحت تشاهد أضواءً ذات اللون الأحمر والأزرق، لم تكن تعرف ما الذي حدث سوا أن مادلين هي من طلبت الشرطة، بسبب الازدحام قررت التوقف بسيارتها على مسافة بعيدة من المبنى، وبدأت بالهرولة عندما ترجلت من السيارة والوقت لا يزال مبكراً.

في مقدمة استقبالها كان زميلها جون، قال لها: «انها السيدة مادلين يا شيلسي، لقد فارقت الحياة.»

تعجبت شيلسي قائلة: «كيف ذلك، لقد شاهدت مكالمة فائتة منها لأنني لم أنتبه للهاتف فقد تركته في الصالة عندما خلدت إلى النوم... أشعر أن هذا كان بسببي.»

قال جون: «ليس سبب أي أحد، والآن علينا أن نفحص المكان وعليكِ أن تسمعي تسجيل المكالمة الأخيرة لها.»

سألته: «هل حاولت أن تحدث أحداً غيري؟»

أجابها جون: «في البداية ماكس، ثم أنت، بعدها

الشرطة. لم تجد رداً كل من ماكس وأنتِ.»

قبل أن يأخذها جون لشقة مادلين أخرج تسجيل مكالمة الهاتف مع الشرطة وبدأ بتشغيل التسجيل الصوتي، سمعت شيلسي صوت مادلين وهو ضعيف لكن الخوف جعله يخرج بكل وضوح «هنا ماكس يحاول قتلي... بسرعة تعالوا...» شعرت بالحزن لأنها لم تستطع أن تقبض على ماكس بتلك السرعة قبل أن يرتكب هذه الجريمة.

قالت لجون: «وأين ماكس الآن؟»

أجابها: «لقد أرسلنا رجالنا لمنزله كي يقبضوا عليه وسوف يأخذوه للمركز وسنلتقي به بعد أن نفرغ من فحص المكان.»

دخلا الشقة وأول ما قالته شيلسي بعد أن تفحصت الباب بعينيها: «لم يدخل القاتل عنوة فهو يعرف مادلين ومادلين تعرفه كذلك ولذا لا توجد أي علامات استخدام الشدة في الدخول.»

أومأ جون برأسه قائلاً: «هذا أول ما طرأ لي أيضاً، وهل تستطيعين تخمين ماذا أيضاً؟» وراح يشير للكاميرات في الخارج.

أجابت: «هل التسجيل ممسوحاً أيضاً؟»

قال: «نعم، وأيضاً الدورية في الخارج لم تفعل شيئاً لأنهم شاهدوا ماكس قد دخل المبنى ونحن لم نخبرهم بأن يمنعوه من ذلك، لذا توقعا بأن الأمر عادياً.»

قالت شيلسي بحزم: «يا لغبائنا، كان علينا معرفة ذلك من البداية.»

ردَّ عليها جون: «لم نكن نعلم يا شيلسي، على أي الحال القاتل ماكس في قبضتنا الآن ولنذهب إلى المركز لنراه.»

قالت شيلسي: «حسناً، دعني ألقي نظرة على المكان أولاً بعدها سوف نتحرك من هنا.»

(28)

طوال الطريق للمركز كانت شيلسي تفكر في لحظات مادلين الأخيرة، أنفاسها الأخيرة التي أطلقتها في هذه الحياة وهي تحاول النجاة وأن تطفوا في المحيط الذي كانت فيه، استطاعت أن تطفوا وكسب معركة أولى مع ماكس لكن هذه المرة لم تستطع أن تبقى جسدها كالريشة فوق الماء لا يغرق، هجم عليها ماكس في غفلة منها واستطاع أن يغرقها وبذلك قد أنهى حياتها. تشعر بتأنيب الضمير لأن العلامات كلها كانت أمامها، الأجوبة على الأسئلة المطروحة والغير مطروحة كانت موجودة منذ البداية لدى مادلين لكن لم يكن هناك الدليل القاطع الذي يثبت تلك العلامات والأجوبة، تمنت لو خططت لمكيدة كي تستدرجه لكي يتم إلقاء القبض عليه قبل أن تموت مادلين. ماذا لو أجابت على هاتفها ولم تغلق عينيها كي تنام قليلاً لكانت على قيد الحياة ربما، تود أن تطرد تلك المشاعر التي تجعلك تشك بنفسك وأنك أنت

السبب، لكنها لا تستطيع أن تنجح في ذلك.

ماذا لو؟ ما هي تلك الأحداث التي سوف تتغير؟ سؤال يراود كل شخص على هذه الحياة قلبه ينبض ورئته تتنفس. كلمتان تجعلك تشعر بأشد وأقسى أنواع الندم على ما لم يحدث، تتمنى أن يعود بك الزمن كي يحدث ما تود به أن يحدث، وما حدث بالفعل تود منه لو لم يحدث. لا شيء في هذه الحياة يستطيع إعادة الزمن إلى الوراء، لكن لماذا نهلك ونرهق نفوسنا بماذا لو؟ إن لم يكن باستطاعتنا فعل شيء قد يغير سير الأحداث كلها فلماذا نظن بأننا نستحق تلك المشاعر التي تأتي مع الندم، التي تشعرنا بأن لا قيمة لنا بسبب حدوث الأشياء التي لم تكن بالحسبان ودون إدراكٍ منا، الأشياء التي لا قوة لنا بالتحكم بها، الأشياء التي تحدث على غفلة منا، الأشياء التي لا كلمة لنا عليها، تلك كلها لا تستحق أن نكسر بها قلوبنا بأنفسنا ونهدر أرواحنا بها.

بعد وصولها للمحطة توجهت شيلسي لمكان إيقاف ماكس، دخلت تلك الغرفة وخلفها زميلها جون، أغلق الباب وراحت تنظر إليه وهي تفور من الداخل لكنها لم تظهر لذلك بسبب هذا العمل التي تستطيع من خلاله إخفاء مشاعرها دون أن يشعر بها أحد في مراتٍ كثيرة.

جلست أمامه وقالت دون أن ترفق به ونظراته الخائفة: «ما الذي فعلته يا ماكس؟»

أجابها: «لم أفهم السؤال؟»

قالت مرة أخرى: «ما الذي فعلته يا ماكس؟»

قال لها: «لم أفعل شيء، فرجالك أتوا إلى منزلي دون أن يقولوا لي شيئاً.»

قالت شيلسي وصبرها يكاد أن ينفذ: «هل تلقيت مكالمة من مادلين؟»

أجابها: «نعم...»

قاطعته دون أن يكمل قائلة: «لماذا لم تُجب على الهاتف؟»

قال: «أولاً، كنت نائماً... ثانياً، بكل تأكيد لن أرد عليها وخاصةً بعد تلك الرسالة التي أرسلتها لي تلك الليلة بأن أتي لمنزلها ومن ثم تهجم علي وتحاول بقدر استطاعتها أن تلبس تلك التهمة علي بأني أنا من دخل عنوة إلى منزلها وقام بإرسال تلك الرسالة إلى نفسي. لست مجنوناً كي أقع في شباك تلك المرأة مرة أخرى.»

قالت شيلسي: «أخبرنا أين كنت في الثلاث ساعات الماضية.»

أجابها ماكس: «كنت في شقتي برفقة اينيز التي تركتها في الشقة وحيدة بعد أن قبض علي رجال الشرطة لسببٍ ما أجهله حتى الآن.»

شاهدت شيلسي في عينيه الحقيقة قبل كلماته، لكنها لم تود أن ترخي الأمر بعد ولن تستسلم بسهولة وقالت له: «السيدة مادلين قد ماتت، ولقد تم قتلها من قبلك كما شاهدك رجال الشرطة.»

صمت ماكس لبرهة من الزمن في محاولة منه أن يربط تلك الكلمات التي خرجت من شيلسي، عيناه تلتقيان على تلك الطاولة التي هي أمامه، يحاول أن يرسم كل شيء بعينيه عليها. تنظر إليه شيلسي وتراه كمن يحاول أن يحل مسألة ما معقدة لن يستطيع أن يصل للنتيجة في أي وقتٍ قريب، هي مطبقة شفتيها في انتظار ردٍ منه، وقد اعتزمت على أنها سوف تظل جالسة هنا أمامه حتى ينطق ويقول شيء بعد ما قالته له.

أخيراً بعد مدة تحدث وقال: «وجدتها، ولا أعلم لماذا قد غفلتم عن هذه النقطة بالرغم من أني أخبرتكم عنها في البداية.»

ردت عليه شيلسي: «أشعر بأن ما سوف تقوله قد طرأ للتو، أخبرني ما الذي يدور في ذهنك يا ماكس سريعاً... فالوقت يداهمنا ولا نعلم من سيكون القادم.»

قال ماكس: «انه أخي التوأم وأنا متأكد من ذلك.»

قالت شيلسي: «حسناً إذا سوف تبقى هنا لبعضاً من الوقت وسوف أعود إليك قريباً، ان أردت شيئاً فبإمكانك أن تخبر أحد رجال الشرطة أن يقوم باستدعائي.»

ردَّ عليها بدهشة: «فقط...؟!! هذا ما سوف تفعليه؟ أبقى هنا وصديقتي إينيز في شقتي وربما القاتل سوف يكون هناك في أي وقت؟ أخبرتكِ من هو القاتل وسوف تُبقيني هنا؟ إلى متى سأظل هنا إذاً أيتها المحقق شيلسي...»

لاحظت بأن أعصابه قد بدأت تلفت من قبضته فقاطعته وهي تنهض من كرسيها: «تمالك نفسك يا ماكس، لا تفعل شيئاً قد يضعك في مأزق.»

قال: «بعد هذا كله أتمالك نفسي؟ ما هذه الكلمات التي تتفوهي بها...»

خرجت شيلسي من الغرفة ويتبعها جون، وقالت للرجل الذي في الخارج: «خذه وضعه في أي زنزانة فارغة، عليها أن يتعلم أن يتحكم بأعصابه فأنا لست والدته.»

قال لها جون بعد أن جلسا في غرفة الاستراحة وبيد كل واحدٍ منهما كوب قهوة من المكينة لا طعم له: «علينا استجواب إينيز لنتأكد من أنها بالفعل كانت معه.»

قالت: «نعم، هذا ما أردته ولذلك لم أرد أن أدعه يخرج من هنا وبذلك قد يتسنى له بأن يخبرها أن عليها القول إنها كانت معه، أيضاً أود أن أستجوب باقي أصدقائه.»

ردَّ عليها: «سوف يكون كل من جيمس وبيتي وإينيز هنا غداً صباحاً.»

قالت له وهي تضحك: «اليوم يا جون... اليوم... أنظر إلى ساعتك.»

قال لها بضجر: «متى سوف ننعم بالقليل من الراحة.»

أجابته: «قريباً يا جون.»

مرت الساعات وهي شيلسي في مكتبها جالسة تنظر إلى ما قد دونته في فترة هذه القضية، جميع الملاحظات وكل الصور والتسجيلات، تعيد الأحداث التي تتذكرها في

ذهنها منذ البداية، تنظر الوقت الذي يدخل فيها أصدقائه كي تستجوبهم ولتكمل خيوطاً في تلك المسامير المتفرقة. أخبرها جون بوصول إينيز وبدأت بها أولاً التي أكدت بأنها قضت الليلة عند ماكس وأنه لم يخرج من الشقة قط، ومن ثم جيمس وبعدها بيتي اللذان أكدا أن ماكس محبوباً وفي الوقت ذاته يفقد أعصابه في بعض الأحيان ويصبح انسان آخر، تأكدت تماماً ألا يلتقي أحدهم بالآخر كي لا يتفقوا على شيء قد يعرقل سير الأحداث التي خططت لها شيلسي. ذهبت إلى زنزانة ماكس وأخبرته أن يتبعها دون أن ينبث ببنت شفه، تبعها وهو مطأطأ الرأس شاعراً بالغباء لفقدانه رباطة جأشه في وقتٍ سابق أمامها.

(29)

أزاحت شيلسي الكرسي كي تفسح له ليجلس وبعد أن جلس قالت وهي تتحرك نحو مقعدها قبالته: «الليلة يا ماكس سوف نقبض عليه.»

قال لها: «كيف ذلك؟»

أجابت: «أولاً أخبرنا بكل ما تعرفه عنه.»

قال لها: «لا أدرك شيئاً عنه، فأنا لم ألتق به مسبقاً... كل ما أعرفه هو أن لي أخاً توأم وأن أمي كانت فقيرة جداً حيث إنها عرضت أحدنا للبيع لعائلة ما غنية، فقط هذا.»

قالت له شيلسي بعد أن أخذت نفساً عميقاً: «لقد بحثنا عن المشفى الذي ولدت فيه يا ماكس وتحديداً عن عدد المواليد الذين قد قدموا إلى هذه الحياة ذلك اليوم وقد كانت النتيجة صادمة، حيث أن والدتك كلير لها ابن واحد فقط ما ذكر في السجلات، لكن الأمر الغريب أن وجدنا طفل آخر غيرك قد ولد في نفس

اليوم والساعة وحتى الدقيقة، وفي غرفة العمليات ذاتها والطبيب ذاته لكن الاختلاف هو أن اسم الأم يختلف. هذا الأمر جعلني أدرك بأن كل ما يحدث هو بفعل أخيك، وأن لا جريمة كاملة مهما طال الوقت على اكتشافها، فهذا يدخل في قضية الاتجار في البشر وكل ما علينا فعله عند القبض على أخيك هو فحص مطابقة الحمض النووي بينه وبين عائلته وأنت، بعدها نستطيع أن نثبت التهم عليهم ولا مجال للتراجع.»

طوال تلك المدة التي كانت تتحدث فيها شيلسي كانت عينا ماكس تتسع وبعد أن فرغت قال لها: «ما هذه الدوامة المعقدة، كل ما ظننته هو أن أخي هو أساس القضية والآن عائلته.»

قالت شيلسي مطمئنة ماكس: «سوف نقبض عليه.»

ردَّ عليها: «كيف تقبضين عليه وأنتِ لا تعرفين مكانه؟»

أجابت: «لا داعي لذلك فهو سيأتي.»

سألها مستنكراً: «هل سيأتي هنا ويسلم نفسه؟»

قالت ضاحكة: «بالطبع لا، سوف نستخدمك كطعم...»

لم يدعها تكمل وقال: «بالتأكيد لا... لن أكون طعماً لأي أحد، ماذا لو أصابني مكروهاً ما.»

قالت بسرعة: «لن يصيبك أي مكروه يا ماكس، دعني أشرح لك كل شيء وبعد ذلك سوف تدرك الأمر.»

قال على مضض: «حسناً، أخبريني ما هي الخطة.»

قالت بكل جدية: «أولاً سوف نسحب تلك الدورية التي

تقف على مسافة قريبة من المبنى التي تقطن فيه، سنضع كاميراتٍ تخصنا لن يستطيع ايجادها أو حتى ايقافها ليتسنى لنا مراقبة ما يحدث والتدخل حينما تنحدر الأمور.»

سألها: «أما أنا... ما الذي يتوجب علي فعله؟»

أجابته: «لا شيء، كل ما عليك فعله هو أن تمارس حياتك بشكلها الطبيعي كي لا يشك وأننا لا نعلم تماماً ان كان سيظهر الليلة أو في ليلة أخرى.»

صمت قليلاً متردداً على حياته، فسألها: «وما الذي يجعلك على يقين بأنه سيأتي إلي ليقتلني؟ ربما يفعلها عشوائياً وليس هناك أي نمط معين.»

أجابته: «خلال خبرتي يا ماكس أشعر بأن هناك نمط، لكن النمط هنا كان مموهاً يصعب تمييزه لكني بعد الإمعان في النظر بدأت الرؤية بالوضوح، حتى أصبح على يقين بأن هذا هو النمط الذي يتبعه القاتل وهذا ما يحدث في العادة.»

سألها ماكس: «ما هو النمط هذا تحديداً.»

أجابته لتحاول التخفيف من توتره لكنها تعلم بأن لا شيء قد يفعل ذلك بعد أن أخبرته بأنه سيكون طعماً للنيل منه: «كلها أموراً نظرية حيث أني أشعر بأن القاتل يتركب جريمته بفعل العاطفة التي فقدها منذ زمن طويل ولم يكتشفها إلى بعد مدة قد تكون قريبة أو بعيدة، يعتمد الأمر على متى اكتشف شأن والدتك كلير. في البداية

قتلها لأنه كان يشعر بالغضب على ما فعلته، وأراد أن ينتقم على ما فعلته هي به بالرغم من أن كانت تفكر بكم في الوقت ذاته، لا أستطيع أن أوجه أصابع الاتهام إليها لأن الأم دائمًا تفعل ما تراه الصواب تجاه أبنائها، حتى لو كان الأمر يضرها في الكثير من الأحيان، كان باستطاعتها أن تلجأ للتبني بدلاً من بيعيه كي لا يدخل الأمر في قضية الاتجار في البشر كما ذكرت سابقاً. على أي حال هذا هو الدافع الأكبر لقتلها، أما الجارة السيدة مادلين فهي قريبة من والدتك كلير، أشك بمعرفته أنها تكن لها كل الحب والاهتمام حيث أنه كان يراقبهما منذ مدة وعلم بالأمر من خلال لقاءاتهما المتكررة بين الفينة والأخرى، عندها ولدت مشاعر الغيرة تجاهها وبدأت النار تحرق كل عضوٍ بداخله، فهو يظن أن الاهتمام والحب كانا من المفترض أن يكونا له بدلاً من تلك التي لا تربط بها رابطة الدم، هذا الأمر جعلها الهدف الثاني للقاتل. أما أنت يا ماكس فالأمر مشابه للسيدة مادلين، أنت أخاه نعم لكن الغيرة التي يظن بأنها قد اختارتك أنت وفضلتك ولدت كل مشاعر الحقد والكراهية، وفي أحيان كثيرة هذه المشاعر تعمي أصحابها أكثر من مشاعر الحب والسعادة وتجعلهم يرتكبون جرائم بشعة تضر أقرب الناس إليهم دون مبالاةٍ بما سوف يحدث لهم. يودون أن يجعلوا ضحاياهم يشعرون بالألم الذي شعروا هم به، ألاماً ليس لها أي مسكنات، بل حتى الانتقام الذي يظن بأنه هو الحل لا يشبعه ويطلب المزيد علَّ وعسى يغذي

الوحش الذي يسكن في أعماقه، لكن الجشع يرغب دائماً بالمزيد ويعمي صاحبه.»

قال لها بارتكاب: «هل على إينيز أن تبقى معي لا يذهب إليها.»

أجابته سريعاً: «بالطبع لا، فهذا سوف يعرض حياتها للخطر...»

قاطعها: «وحياتي أيضاً.»

تابعت حديثها كأنه لم يقاطعها: «هو دائماً يهجم على ضحيته عندما تكون وحيدة، يعرف تماماً أنه سوف يكسب المعركة حينما يخوضها ضد شخصٍ واحد، لأن وجود شخصين في المكان نفسه سيعرضه للمخاطرة أي أنه قد يخسر تلك المعركة وتفشل المهمة التي من المتوجب أن تُنجز بنجاح دون أي خسارة له.»

يعرف بأن لا مجال به بالهروب من هذا الأمر لذا استسلم لهذا القرار وقال لها: «متى سوف نبدأ؟»

قالت: «تستطيع الذهاب الآن، فسوف يوصلك رجال الشرطة وبعدها سيغادرون المكان. ولن تجد تلك دورية الشرطة واقفة هناك، والكاميرات المخفية قد وضعت في مكانها في المنطقة وبداخل المبنى الذي تقطن فيه أيضاً. سوف تذهب الآن وسوف نلتقي من جديد قريباً يا ماكس وأرجوا أن تتوخى الحذر وتذكر ألا تفقد حبل أعصابك كي ننهي الأمر هذا بنجاح ونقبض عليه.»

أومأ برأسه ونهض من الكرسي، تبع الرجل خارجاً من

الغرفة، توقف قبل أن يخرج وقال: «أتمنى أن تتدخلوا في الوقت المناسب كي لا أكون ضحيةً أخرى له كما حدث مع مادلين، لا أود أن أكون جثة طريحة على أرض شقتي.» بعدها أكمل مسيره.

نظرت شيلسي لجون وتحدث قبلها قائلاً: «لا تتيهي داخل عقلك كثيراً، سوف نقبض عليه في الوقت المناسب قبل أن يكون ماكس ضحيته الثالثة، لن ندع ذلك يحدث وسنكون في مسافة قريبة من المنطقة. لقد درسنا الأمر أكثر من مرة، والأهم من هذا هو أنكِ أنت من وضع الخطة وجميعنا نعرف ان كان هناك محقق سوف يحل أي قضية ويقبض على المجرم فهو أنتِ... هيا الآن ابتسمي ودعينا نبدأ بالاستعداد لهذا اليوم الطويل فنحن لا نعلم ان كان سيظهر اليوم أو الغد أو بعد الغد.»

نهضا من مكانهما وغادرا الغرفة.

ماکس

(29)

يدخل ماكس غرفته ويغلق الباب خلفه، ضربات قلبه تتسارع لا يعرف ما يتوجب عليه فعله، يجلس على سريره ويلقي بظهره لتستقبله أحضان السرير، فجأة يتذكر أنه طُعماً سوف يؤكل في أي وقت من قبل القاتل، تتسارع ضربات قلبه أكثر فقرر النهوض من السرير فأثناء التوتر بالكاد يستطيع الشخص أن يبقى في مكان واحد. يخرج من غرفته ويذهب إلى الصالة، يعلم بأنه لم يأكل شيء منذ مدة لكنه لا يشعر بالجوع بسبب ما يحدث، يتناول هاتفه الذي ألقاه على منضدة المطبخ عند دخوله، سأل ذاته لماذا ترك الهاتف بعيداً عنه ودخل الغرفة وهو يعلم بأن القاتل سوف يهجم عليه، قرر الاتصال بصديقته إينيز.

أجابت على الهاتف وسبقته هي في الحديث قائلة: «هل أنت بخير يا ماكس؟»

لم يجبها لوهلة من الزمن، سالت دمعة على خده

هاربة من احدى عينيه. لم يُطرح عليه هذا السؤال من أي شخص منذ وقوع هذه الأحداث الكثيرة التي حصلت مؤخراً، شعر ولأول مرة بأن هناك من يهتم به بالفعل، بالرغم من أن السؤال قد يُطرح بشكل يومي على جميع الناس إلا أن في بعض الأحيان تشعر أنه سؤالاً عسيراً يُصعب الإجابة عليه، يتوقف فيك الزمن وأنت تفكر في هذا السؤال كأن حفنة من الوقت قد سُرقت ولم يعد لها وجود. حملاً ثقيلاً قد استولى على جسدك ويبدأ بالزوال بهذا السؤال الذي هو أشبه بعناقٍ دافئ يأتيك على شكل كلمات. حملاً كحجارة فوق أخرى، تصطف دون أي فراغٍ بينها، ثقلها يهلك ثباتك ويعرقل تحركك، رغم ذلك تظهر أمام الجميع لا يرتد لك طرف، مستقيماً بجسدك لا شيء يحدب ظهرك، من يراك يظن بأن هموم الدنيا لا تقترب منك ولا تلتقي بك في أي طريقٍ تسلكه. لا أحد يعرف ما يخفيه قلبك إلا من هو قريب أو غريب يشاهد تفاصيل حياتك من خلال عينك التي هي مرآتك قد مر بتجاربٍ مشابه، وربما لأنك رجلاً فصورتنا النمطية هي القوة والثبات وعدم اظهار المشاعر.

أحس بأنه لم يجبها فتدارك صمته قائلاً: «نعم... انني بخير.»

سألته مستنكرة: «هل أنت متأكد؟»

أجابها: «انني متعب بعض الشيء وأردت أن أسمع صوتكِ، وأود أن أخبرك بأن كل هذا سينتهي قريباً. عليكِ الآن أن تبقي بعيداً عني لتكوني في أمان.»

لم تود أن تنازعه على هذا الطلب وقالت: «حسناً يا ماكس، سوف أعود إليك وأزعجك طوال الوقت ما أن ينتهي الأمر. تذكر أنك من أهم الناس في حياتي، لا تنزعج مما يحدث في الوقت الراهن، فأنا وجيمس وبيتي متأكدين أنك سوف تخرج بسلام من هذا الطريق الوعر. انتبه لذاتك ولا تخسر ذاتك للغضب لأنك تكون وقتها شخصاً آخر ليس بماكس الذي نعرفه جميعنا.»

أغلق الهاتف بعدها، اضطر للكذب عليها ويخبرها بأنه بخير بالرغم من أنه لم يكن قريباً من ذلك، فهو مكسوراً. قلبه محطم، روحه كذلك، وأيضاً جسده. كان يود أن يقول بأنه ليس بخير وأن يفصح عما بداخله لمن يستمع، قد كانت هذه فرصة له لإفراغ من بداخله، لكنه تراجع خوفاً من المجهول وخوفاً من ردة الفعل. من أشياء قد لا تحدث لكنه رسمها بعقله وآمن بها وأخبر ذاته أنها سوف تحدث إن أفصح عما بداخله من مشاعر وأنه لا يشعر بأنه سليماً من الداخل. لا علاج لمن يوهم نفسه على حدوث أشياء قد اختلقها هو بنفسه، وفي الحقيقة هي لم تحدث وربما أيضاً لن تكون هي الأحداث التي من المتوجب عليها أن تحدث، نعم لكل فعل ردة فعل لكن لا يجب أن تخلق هذه الأفعال التي توهم ذاتك أنها سوف تقع وبعدها تكون على يقين أنها حدثت بالفعل، وبذلك يتيه العقل وتصبح أقرب إلى الجنون الذي أصبح فيه عقلك سجيناً بداخل زنزانته.

جلس على الكنبة وراح يستلقي، وقبل أن يلامس رأسه

الوسادة نهض من جديد وراح إلى باب الشقة ليتأكد من أنه مغلق، عاد يجلس على الكنبة بعد أن ثبت أن بابه مغلق. لم تكتمل الدقيقة حتى نهض مرة أخرى من الكنبة وراح ناحية النافذة ينظر للخارج، لا يرى دورية الشرطة، لا يرى شيء قد يجعله في هذا الشك والارتباك الذي هو فيه، يود أن ينتهي من هذا كله كي يعود إلى عمله ويبدأ حياته من جديد، يقفز إلى المستقبل القريب كي لا يعيش هذه الأحداث التي تسبب الاضطراب. توجه إلى الكنبة من جديد، جلس عليها وقبل أن يستلقي قام من مكانه، يود أن يرتاح قليلاً لكن التوتر والأفكار التي تصاحب التوتر تكاد لا تغادر رأسه، راح يخفت أنوار الشقة وعاد إلى كنبته، قبل أن يجلس عليها تحرك ليطفئ جميع الأنوار كي يظن القاتل أنه ليس موجوداً في المنزل، ذهب ناحية المطبخ وأخرج كوباً زجاجياً من احدى الخزائن العلوية، فتح صنبور الماء وملئ كوبه فشربه، أحس بطعمٍ مختلف لكنه لم يبالي لأنه اعتاد على شرب المياه من الصنبور وفي بعض الأيام يكون هناك طعماً لها. عاد جلس على الكنبة من جديد، أراد أن ينهض ليعيد النظر على شقته ويتأكد من أنها حصنه التي سوف تمنع هجوم الأعداء لكنه أوقف ذاته، أمسك معصمه اليسار بيده اليمنى كأنه يوحي نفسه بأن أحداً ما يستوقفه عن فعل شيء ما أو عن الحركة. أخيراً استلقى ووضع رأسه على وسادة من الوسائد الموجودة على الأريكة، بعد أن كان يحوم على نفسه في الشقة ويفعل أموراً كثيرة لا معنى

لهـا، فقـط انصـاع للأفـكار التـي تأتـي مـع التوتـر وتلتهـم الجسـد كلـه وتجعلـه يتحـرك فـي دوائـر حـول نفسـه دون أن يـدرك ذلـك كأن هنـاك مـن يتحكم بـه عبـر جهـازٍ عـن بعـد، وحينمـا ينتبـه علـى نفسـه يوقـف نفسـه قبـل أن يغـوص فـي هـذه الدوامـة ويرهـق ذاتـه دون أن يعطـي جسـده مجـالاً للراحة التي يستحقها.

راح يصب تركيزه على الأصوات في الخارج فالنافذة على مسافة قريبة منه، راح يتنفس على وتيرة واحدة ليخفف من ضربات قلبه السريعة، يستمع لصوت السيارات وعجلاتها وهي تسير على الشارع الممطر، على صوت المطر الذي يلامس مختلف الأسطح. الشوارع، الأرصفة، النافذة، الأشجار. يفضل هو صوت المطر عندما يضرب النافذة، يشعر بأن هناك عطراً فواحاً ينتشر في أرجاء الشقة عندما يسمع صوت قطرات المطر على زجاج نافذته، فيبدأ بالاسترخاء وتبدأ ضربات قلبه بالانتظام والعودة إلى مجراها الطبيعي، هناك حرب مندلعة بداخله الآن، فعقله نوعاً ما قريب إلى التوتر وتلك الأفكار، لكنه هو يحاول أن يرخي ذلك كله بقلبه ويبث السلام بداخل أرجاء جسده لا ينتصر التوتر ويعود إلى ما كان عليه. بعد مرور مدة لا يعلمها وهو يحدق بالسقف ويمارس تنفسه المنتظم تبدأ عيناه بالاستسلام شيئاً فشيئاً، لم يقاوم النعاس لأنه يدرك الإعياء الذي أصاب جسده وعقله في هذه الأيام، سوف يغتنم كل فرصة يستطيع فيها أن ينال على قسطٍ من الراحة، يغلق عينيه بذاته وخضع للنوم.

(29)

يرتعش جسد ماكس ويستيقظ بسبب أصوات أشخاص يتحدثون في الرواق خارج شقته، لا تزال أعصابه مشدودة بسبب حديث شيلسي له، قفز من الكنبة بعد أن سمع صوت اغلاق باب في الخارج، ضحك على نفسه لأن ما حدث يبدوا غبياً. أخذ هاتفه وإذا به يتفاجأ من أن الوقت قد تجاوز منتصف الليل أي أنه قد نام مدة تفوق الاثني عشر ساعة، وشاهد بعضاً من الرسائل النصية المرسلة من شيلسي وإينيز، وضع الهاتف من يده ليفتحها لاحقاً ونهض من مكانه، تحرك أولاً ناحية النافذة ليطمئن قلبه قبل أن يذهب إلى الحمام، لم يرى أحداً في الخارج وأحس بشيء من الرضى، ذهب إلى الحمام لقضاء حاجته وبعد أن خرج أتاه ذلك الشعور بأن لا شيء على ما يرام، هناك شيء في الأجواء هنا في الشقة لا تبشر في بالخير، تعلم ذلك لأنك تعيش في مكان منذ مدة وتعتاد عليه وفجأة تعرف تماماً حينما يكون هناك أمر

خارج عن المألوف. اقشعر بدنه وانتصب شعر جسده كله، بعينيه يلتفت يميناً وشمالاً باحثاً عن هذا الاختلاف الذي يشعر به، لا يرى شيئاً يثير الريبة لكنه على يقين تماماً بأن هناك شيء ما مختلف.

عاد إلى غرفة المعيشة، أراد أن يلتقط هاتفه لكنه لم يجده، لوهلة ظن أنه أخذه معه إلى الحمام بالرغم من أنه على يقين من أنه لم يفعل ذلك. أغلق عينه وأخذ نفساً عميقاً، شعر جسده لا يزال منتصباً، يحس بأن هناك أحد ما خلفه فيلتفت سريعاً لكن الأمر مجرد مزيج من الخوف والتوتر والقلق، اعتزم على أن يبحث عن هاتفه كي يتصل بالضابط شيلسي ويخبرها أنه سوف يغادر المدينة لإنهاء هذا كله ولا يبالي بما سوف يحدث للقاتل، لأن ما يمر به الآن أقسى من كل شيء، كأنه ينتظر موتاً آتياً في الطريق دون أن يعلم متى يحين.

سمع صوتاً نابعاً من اتجاه غرفته: «هل تبحث عن هذا يا ماكس؟»

استدار سريعاً بجسده لكنه لم يستطع أن يرى بوضوح بسبب الأنوار التي لا تزال مغلقة، يقرب طرفي عينيه ببعضهما البعض علّه يستطيع أن يرسم صورته لكن لم يكن لذلك أي جدوى أيضاً، أخذ خطوتين إلى الوراء حينما شاهد ذلك الجسد يتحدث أثناء خروجه من غرفة نومه.

«لماذا لا تزال صامتاً؟ ألم تعلم من أنا حتى الآن؟»

ردَّ ماكس بتردد: «لا أستطيع أن أرى بوضوح والأنوار مغلقة.»

قال ذلك الصوت: «هذا ما كان سيحصل لو لم تفصلنا والدتنا وفضلتك على ابنها الآخر.»

شعر ماكس بالخوف لكنه لم يرد أن يظهره ولا حتى في صوته وقال: «اسمع... لم أكن أعلم بوجودك أبداً حتى اللحظة التي ماتت فيها أمي.»

أضاء الرجل الأنوار وقال وهو يشير إلى نفسه وبيده اليمنى سكينة حجمها ليس بالصغير: «ها أنا أخيك وأشبهك تماماً، أدعى أندرو...»

رد ماكس بتوتر بعد أن شاهد ذلك السلاح الأبيض بيده: «سُعدت بلقا...»

قاطعه أندرو قائلاً: «أنا لم أنته من حديثي بعد يا هذا... أردت أن أنوه على حديثك السابق أيها المعتوه حينما قلت بأنك لم تعلم إلى عندما ماتت والدتك... ما زلت يا ماكس وأنت تراني هنا أمامك لا تعترف بي، حتى هذه اللحظة تتكر بأن لديك أخ بالرغم من أنك ترا هذا الشبه المريب الذي بيننا، بالرغم من أني في البداية قلت لك بأنها هي والدتنا...» بدأ هنا صوته يعلو كأن ماكس على مسافة بعيدة منه: «...والدتنا... أي أنها والدتك أنت ووالدتي أنا... هل هذا مفهوم؟»

شعر ماكس بأنه أخفق في أهم امتحانٍ في حياته وردَّ عليه بسرعة: «نعم... مفهوم يا أندرو... دعني أشرح لك

كل شيء.»

أمال أندرو عينيه الاثنتين وقال: «لا أود منك أن تشرح أكاذيباً ليس لها من الحقيقية أي شبه، يتوجب عليك أنت أن تسمعني لأني أنا من يحمل هذه بيدي.» وراح يشير بتلك السكينة وهو يلوح بيده يميناً وشمالاً.

قال ماكس بذعر: «أذاني صاغية وقل ما تريده.»

هنا ماكس لا يعرف ما هذه الورطة التي أوقع فيها نفسه، هو كان يعلم بأنه سيكون في هذا الموقف الذي هو فيه لكنه لم يعلم متى، لقد أخفض قليلاً من احتراسه وترك الهاتف بعيداً عنه والآن هو بيد القاتل، أخيه أندرو الذي أمامه ويلوح بسلاحه الأبيض الذي قد يُغرس في جسد ماكس في أي وقت. لسبب ما يشعر بأن الغضب لا يخرج منه أبداً، كأنه قد شُل تماماً ولم تعد له القدرة بالظهور، وكل ما يفعله هو الانصياع لهذا القاتل الذي أمامه وهو في نفسه يعلم أن باستطاعته الدخول في عراكٍ عنيف معه وقد يستطيع أن ينتصر عليه بالفعل ان أتى الغضب وأعطاه ذلك الدافع الإضافي لتصبح الكفة أثقل قليلاً. يود أيضاً أن يطيل في الحديث معه لكن لا يعرف كيف ولا يود أيضاً اغضابه بفعل شيءٍ خاطئ أو قول كلمة خاطئة قد تثير انفعاله وتبدأ تلك المعركة، تمنى لو أن هاتفه معه كي يستطيع أن يتصل على الضابط شيلسي وحتى لو رنَّ هاتفها رنة واحدة لأن ذلك ستكون كإشارة على الأقل بأنه في مأزق ويريد المساعدة في الحال، أما الآن فهو لا يعرف كيف يرسل إشارة إليها.

(30)

قال له أندرو: «اجلس يا ماكس فالحديث سيكون طويلاً الآن وأود منك أن تسمعني بوضوح قبل أن أنهي حياتك وتعود إلى والدتنا.»

أومأ ماكس برأسه وتحرك بخطواته المترددة ليجلس.

بدأ أندرو بالحديث: «سوف أخبرك قليلاً عني وكيف حدث هذا كله، عائلتي الحالية التي قررت شرائي من والدتنا ذات نفوذٍ وسلطة يجعلاك لا تود أن تتقاطع حياتك بهم في أي حال من الأحوال، والدتنا كانت يائسة جداً، أكثر من اللازم في الحقيقة. لأنها كانت تقترف كل ما هو غير لائق وأخلاقي وما أن علمت بحملها قررت أن تتوقف عن جميع تلك الممارسات لكن لا أحد يود أن يقبل بفتاة ليلية وهذا الأمر جعلها في قاع اليأس، حاولت كثيراً الوقوف على قدميها لكن لم تجد ذلك العون الذي يكون في البداية من أي شخص في هذه الحياة، ومع اقتراب موعد ولادتها علمت بأن ليس هناك حل سوا هذا، مع

ترتيب من وسيطٍ ما قد تعرفت على عائلتي وابرما اتفاقٍ بأنها تعطي أحدنا إليهم مقابل مبلغٍ سخي من المال دون أن تظهر هي في حياته أبداً وهذا ما فعلته هي، بقيت أنت معها وأنا ذهبت مع تلك العائلة إلى حياة جديدة بعيدة عنكم. حتى هذه اللحظة يا ماكس، ما هو رأيك في هذا الي قلته كله؟»

لم يكن يعلم ماكس ان كان سؤاله هذا خادعاً أم لا وإذا يود أن يوقعه في فخٍ أم ماذا، ردَّ عليه سريعاً: «إلى الآن لا أجد تصرفاً خاطئاً من أمي...»

قاطعه أندرو بغضب: «يا لك من معتوه... كل ما فعلته كان خاطئ... هل تعلم لماذا؟ لأنها أم والأم يتوجب عليها فعل المستحيل لأبنائها، أنت مثلها تماماً وعليك الذهاب إليها بعد أن نفرغ من هذا الحديث أيها المعتوه.»

بدأ ماكس بالغضب كأن أندرو ضغط على زرٍّ استطاع فيه أن يُفعِّل غضب ماكس وهذا الزر كان إهانة والدته، بالرغم من أن أندرو هو الذي يحمل السكين بيده إلا أن ماكس شعر بحكة في لسانه تخبر بأن عليه التحدث في الحال والدفاع عنها. على الرغم من كل شيء إلا أنها تظل والدته وتاريخهما في الثلاثين سنة الماضية كان رائعاً مليئاً بكل أنواع الذكريات التي تصاحب كل عائلة، الجميلة والحزينة وغيرهما.

قال ماكس: «الأم تفعل ما تراه الأنسب لأبنائها، وان لم تستطع فعل ذلك لجميع أبنائها فعلى الأقل أن تختار

واحد منهم وهذا ما فعلته تماماً، كل الطريقين كانا ذا ضرر لكنها اختارت الأقل ضرراً...»

قاطعه أندرو قائلاً: «تدافع عن تلك الساقطة أيضاً التي تخلت عني؟»

قال ماكس بسرعة: «إني أقول ما أراه صحيحاً فقط.»

ردَّ أندرو: «كان عندها الخيار بأن تبقينا نحن الاثنين، لكنها تخلصت مني... الخيار كان بيدها لفعل الأمر الصحيح لكنها لم تود فعل ذلك.»

انتهز ماكس تلك الزلة في حديثه وقال: «أنت أيضاً يا أندرو تمتلك الخيار في فعل الأمر الصحيح ومغادرة الشقة، وأعدك تماماً أني لن أتحدث عما دار بيننا.»

قال أندرو بسخرية: «أتحسبني بذلك الغباء؟ لم يكن هناك من أرغمها على طريق السفوح الذي كانت فيه... اختارت ذلك بنفسها.»

ردَّ ماكس: «ومن أخبرك بذلك؟ هل كنت معها وقتها؟ لا أحد يسلك ذلك الطريق إلا من أجبرته الحياة وتوابعها، أنا متأكد من ذلك. وأنت تسلك هذا الطريق بسبب بعض الدوافع لكنك لست مرغماً على اكمال مسيرك في هذا الطريق يا أندرو، تستطيع أن تتوقف الآن قبل أن يحدث أي شيء وقبل فوات الأوان. هذه هي فرصتك في الخروج من هنا دون النظر خلفك.»

صمت ماكس ولم يجبه أندرو بعد حديثه، شعر ماكس بالانتصار قليلاً وأنه استطاع الوصول لقلب أخيه أندرو

قليلاً، وأن المماطلة في الوقت الآن قد بدأت ولا يعلم لمتى سوف تستمر لكنه سوف يحاول بكل ما يملك أن يطيل وقتها حتى يستسلم هو أو أن تأتي الشرطة.

ابتسم أندرو ابتسامة خبيثة وتحدث لمتابعة حديثه كأن ما دار بينه وبين ماكس لم يحصل أبداً: «بقيت أنت معها وأنا ذهبت مع تلك العائلة إلى حياة جديدة بعيدة عنكم وأطلقوا علي هذا الاسم بدلاً من آدم. لن أنكر بأن الحياة معهم كانت قريبة جداً من الكمال، لم أشعر بشيء من النقص في المال، طلباتي كلها كانت تُنفذ وكنت ذلك الفتى الذهبي المحبوب بين الجميع. في منزل العائلة، في المدرسة، عند الأصدقاء، في العمل. لكن هناك فراغ، فراغ كبير جداً لم يستطع المال سد فجوته، ولم أكن أعرف ما سبب هذا الفراغ الكبير. ظننت في البداية أن شيئاً من ينقصني من الماديات فقررت أن أسافر كثيراً، أشتري ما أود، أحصل على أي فتاة أريدها، ألهو بكل ما تتخيله يا ماكس، رغم كل ما فعلته كانت تلك الفجوة تتسع. كل الأشياء التي أحبها وكنت أمارسها كانت تزيد من اتساع تلك الفجوة وحينها علمت شيئاً. علمت بأن شيئاً ينقصني في المنزل وحينها أخبرت والدتي وأخبرتني بكل شيء، أنني من أم أخرى وعلي ألا أقترب منها لأنها سوف تشوه سمعتنا لانخراطها في فعل كل ما هو شنيع وبذلك سوف يسقط وزن العائلة التي هو فيها. انصعت لها، وبنفسي قررت البحث دون اخبارها عن تلك الأم الي تخلصت مني وباعتي بثمن وأنا لم أكن أعلم

بأني لي ثمن محدد، وجدتها ومن خلال مراقبتها لسنين اكتشفت حبها لك وحبها لجارتها مادلين، بدأت النيران تشتعل بداخل تلك الفجوة وتأكلني أنا من الداخل لأنها فجوة ليس بها شيء، كانت النيران تحرقني من الداخل وتأكل جزءاً مني لتتسع الفجوة أكثر. حينها علمت ما يتوجب علي فعله ولم أعيد التفكير فيما قررت الاقدام عليه، كان علي أن أضع خططاً أولاً وبفضل المعارف والعلاقات الكثيرة استطعت رسم الخطة بكل دقة دون أي ثغرات وحتى الآن لا ثغرة فيها.»

ردَّ ماكس: «ومن قال لك بأن خطتك لا تحتوي على الكثير من الثغرات؟»

قال: «الشرطة تظن الآن أنك من اقترف الجرائم السابقة دون أي دليل وإثباتاً على ذلك أنهم سحبوا تلك الدورية التي كانت تقف هناك لحمايتك، كنت أنتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر كي أستطع أن أنهي هذه الخطة وأشبع تلك الفجوة التي بداخلي.»

قال ماكس مستفزاً إياه: «وما الذي تنتظره حتى الآن؟»

ردَّ أندرو: «أود أن أفرغ من حديثي أيها المعتوه... هل تعرف كلمات والدتنا الأخيرة قبل أن أنهي حياتنا، كانت ترجوا مني ألا أقترب منك وأن أدعك بسلام، لكني لن أدع أي شخصٍ أحبته يعيش بسلام لأني أنا أيضا كنت أستحق ذلك الحب الذي سُرق مني. لم أستطع الحصول عليه بالأموال وقررت ألا أدع الحب الذي قد وزعته أن

يتابـع، بـدأت بهـا وقتلتهـا ومـن ثـم تلـك العجـوز جارتهـا مادلين، والآن يا أخي العزيز وتوأمي سيحين وقتك.»

قـال ماكـس بغضـب بعـد أن سـمع منـه مـا قالتـه والدتـه قبـل أن يقتلهـا: «لا أحـدا معتوهـاً هنـي فـي هـذه الغرفـة إلا أنـت أيهـا الحقيـر، أن أردت أن تقتلنـي فلمـاذا تنتظـر؟ هـل تخاف مني يا...؟»

لـم ينتظـر أنـدرو مـن ماكـس أن يفـرغ مـن الحديـث وراح يهجم عليه.

(31)

يندفع أندرو على ماكس رفعاً يده اليمنى، ما أن شعر أنه على مقربة من ماكس حتى راح يسدد تلك اليد نحوه. استطاع ماكس تجنب تلك الهجمة بعد أن ألقى بجسده نحو اليسار ليسقط أرضاً، نهض سريعاً لينقض هو الآخر على أندرو، بسبب خفة حركة أندرو استطاع أن يباغت ماكس وتراجع خطوة نحو الخلف جعلت من ماكس يخل توازنه وبذلك مده يده اليمنى التي يحكم قبضته بها على السكين نحو ماكس واستطاع أن يمرر ذلك الطرف الحاد على ذراع ماكس الأيسر تحت كتفه بقليل. أحس ماكس بتلك الحرقة التي تصاحب الجرح، لم يبال للألم وسدد لكمة لأندرو لكمة على وجهه بيده اليمنى أسقطته أرضاً وأسقطت السكين من يده أيضاً. وضع كفة يده اليمنى على الجرح في ذراعه وبسرعة أمسك به أندرو ورفعه قليلاً وأسقطه على الطاولة الموجودة أمام الكنبة والتي قد تحطمت، استقبل ظهر ماكس الألم كله وظل ساقطاً

على الأرض يحاول أن يستوعب ما حدث للتو، نهض أندرو من فوقه تجاه السكين وبركبتيه تحرك ناحيته والتقطه. أثناء ذلك راح يبحث ماكس بعينيه عن شيء يستطيع أن يستخدمه كسلاح حتى يستطيع أن يدافع عن نفسه، يشعر بالألم تجاه السقطة هذه في أنحاء جسده كله ولذلك لا يقوى على الحراك. أمسك أندرو بالسكينة التي لم تكن بعيداً وعاد فوق ماكس، جاثياً على ركبتيه فوقه، سدد له لكمة بيده اليمنى على خده ومن ثم لكمة أخرى بيده اليسرى على الطرف الآخر من وجهه، بعدها أحكم قبضتيه الاثنتين على السكينة ورفع يده ليغرسها على صدر أخير ماكس، لكن ماكس قد وجد شيئاً فمد يده على وعاءٍ ما أثناء ذلك وما أن أمسك ذلك الوعاء حتى سدده على رأس أندرو، وإذا به هو يسقط من فوق ماكس. نهض ماكس بسرعة رغم الألم الذي ينتشر في أنحاء جسده، يسير مترنحاً ناحية باب الشقة في حالة لا يستطيع فيها أن يهرب راكضاً بالرغم من أنه يعلم أن الموت خلفه، فتح الباب وإذا به يجد الضابط شيلسي تركض تجاه الشقة وهي تحمل مسدساً بيدها.

قالت بصوتٍ عالٍ مسددة ذلك المسدس: «توقف في الحال وارفع يدك.» لأنها لم تكن تعلم ان كان هذا هو ماكس أم القاتل.

نفذ ماكس طلبها، ظلَّ واقفاً في مكانه عند مدخل شقته رافعاً كلتا يداه، اليمنى أعلى عن اليسرى بسبب الجرح، تقدمت شيلسي بحذر وراحت تطل من فوق كتفه

وإذا تجد بأندرو يركض تجاه ماكس حاملاً السكين. تقدمت للأمام وسحبت ماكس بيده اليسرى وما أن أصبح الهدف أمامها واضحاً قالت بأعلى صوتها أن يتوقف لكنه تابعه تحركه نحو الأمام، فلم تجد حلاً سوا إطلاق النار على كتفه الأيمن لأنه يحمل السكين بيده اليمنى. سقط السكين من يده وتابع تحركه تاجه الضابط شيلسي، اسقطته أرضاً بكل سهولة وراحت تكبل يديه.

قالت له وهي تكبل كلتا يديه: «أنت في قبضة القانون الآن بتهمة القتل وتهم أخرى. لك الحق في الالتزام بالصمت، أي شيء تقولُه من الممكن أن يستخدم وسوف يستخدم ضدك في المحكمة. لك الحق في توكيل محامٍ، ان لم تستطيع توكيل محامٍ فسوف يتم توفير واحدٍ لكَ. هل هذا واضح ومفهوم؟»

لم يرد عليها وبدأ بالضحك كالمجنون تماماً، رفعته من الأرض وأخبرت زملائها: «خذوه من هنا.»

دخلت الشقة وراحت تنظر للفوضى التي حصلت هنا بسبب العراك هذا، عادت إليها ذكريات شقة والدته كلير والفوضى التي كانت هناك التي هي شبيه الآن بهذه الفوضى، أخذت نفساً عميقاً وغادرت المكان. خرجت من المبنى الذي يقطن فيه ماكس، رفعت رأسها نحو الأعلى وراحت زخات المطر تستقبل وجنتيها اللتين كانتا ساخنة بسبب الأحداث للتو، أخفضت رأسها وتحركت ناحية الإسعاف الذي بداخل ماكس.

قال ماكس ما أن رآها: «شكراً لكِ.»

قالت مبتسمة: «على الرحب والسعة.»

سألها: «ماذا الآن؟»

قالت بهدوء وهي تشعر بشيءٍ ما: «لا شيء... تابع حياتك بسلامٍ يا ماكس.»

ظلَّ ينظر إليها وهي تنظر إليه وقال: «هل أنت بخير؟»

أجابت: «في كل قضية أنتهي منها أتعلم درساً ما، الآن أشعر بأن تعلمت درساً قيماً.»

أعدل بجلسته وقال: «ما هو هذا الدرس؟»

قالت: «أن تكون بقرب الأشخاص الذي يحبونك بصدق، أثناء وجودك في المركز كان هنا فريقاً يضعون أجهزة تسجيلات الصوت وكاميراتٍ مراقبة بداخل شقتك لكننا لم نخبرك بذلك. سمعت ما قال عن والدتك وأن آخر ما أرادته هو أن يدعك وشأنك وأن تعيش بسلام. نحن لا نشعر بقيمة الأشخاص وهم معنا ونختلق دائماً الشجار على أتفه الأسباب، لدي أحد يتقبلني رغم عيوبي الكثيرة، باقٍ معي رغم ما ألقيت عليه وقد تعلمت من هذه القضية أن أعود إليه وأجعله يعرف قيمته العظيمة في حياتي. شكراً ماكس على هذا الدرس وأتمنى لك حياة جميلة.»

ابتسم ماكس لها، بادلته الابتسامة، استدارت بجسدها مغادرة المكان. ظلَّ ينظر إليها حتى تلاشت ما بين رجال الشرطة وسياراتهم واللونين الأحمر والأزرق المنتشران في الأرجاء.

كلير

(32)

11\21

«لم تكن حياتي سهلة يا ماكس، أرجوك افهمني... لقد فعلت ما فعلته وأنا نادمة أشد الندم، كان علي الاختيار كي لا أخسر كلاكما.»

يصرخ ماكس عليها: «لماذا لم تخبريني وقتٍ سابق؟ لماذا الآن يا أمي؟»

أجابت عليه كلير: «لأنه ظهر في حياتي منذ وقتٍ قريب، وجوده لا يبشر بالخير يا ماكس، عيناه مختلفة ويود الانتقام لكن لا أعرف ما هو هذا الانتقام... أشعر بالخوف ولا أعرف ما الذي يتوجب علي فعله وعليك مساعدتي.»

قال لها: «انها مُشكلتك، لقد بدأتي هذا كله دون أي تدخل مني يا أمي وعليكِ اكمال الأمر دون تدخل مني أيضاً.»

قالت له برجاء: «أرجوك يا ماكس.»

ردَّ عليها وهو يخرج من شقتها: «الأمر ليس بيدي ولا أود أن يكون لي علاقة بالأمر.»

خرج ماكس تاركاً الباب مفتوحاً، تقدمت كلير لتغلق باب الشقة فشاهدت جارتها مادلين قادمة نحوها وقبل أن تقول مادلين شيئاً، قالت لها كلير: «ليس الآن يا مادلين.» وأغلقت الباب.

غضبت كلير مما حدث وراحت تمسح بيدها على منضدة المطبخ ليسقط الطعام أرضاً، تبكي بحرقة لكنها تخبر ذاتها أنها تستحق ما يحدث لها لأنها اقترفت هذا الذنب العظيم، تخرج أكواباً من الخزائن العلوية وتلقيها أرضاً لتتكسر ويتطاير الزجاج في الأرجاء. تحس بالتعب والجهد والإرهاق، رأسها يكاد أن ينفجر بسبب حجمه الذي تشعر أنه يكبر مع هذا الصداع، تسحب جسدها برجليها نحو غرفتها وتلقيه على السرير كي تنام قليلاً. تتساقط الدموع من عينيها على وسادتها، في حيرة من أمرها تشعر بالضياع والتشتت، تحاول أن تفكر في شيء، تفشل في ذلك بسبب الصداع، تغلق عينيها تجبر ذاتها على النوم كي تنسى ما حدث.

تستيقظ على صوت تلفازها في غرفة المعيشة، لا تعلم في الحقيقة ان تركته هي مفتوحاً أم لا، تنهض من السرير وتغادر غرفتها قاصدة غرفة المعيشة، هناك تشاهد أندرو جالساً على الكنبة.

شعر بوجودها فأمال برأسه نحوها وقال: «ها أنت ذا يا أمي... تعالي واجلسي بجانبي لنشاهد التلفاز قليلاً.»

قالت له بغضب: «اخرج من شقتي الآن يا آدم... أندرو... أو أي اسمٍ ساقط، أنا لست والدتك...»

قاطعها: «أنت والدتي وخرجت إلى هذه الحياة بسببك، والآن تتبرئين مني. أود أن أعرف لماذا؟»

قالت: «ليس لي طاقة الآن لهذا الحديث... ليس الآن فقط وانما اطلاقا، لا أود أن أراك ولا أود أن أتحدث معك.»

صرخ عليها: «لماذا يا أمي؟ لماذا؟»

أجابت وهي تصرخ: «لأن عائلتك سوف يضرونني، فمن الشروط هو أن أبتعد عنك وألا أتحدث إليك أبداً، قبلت ذلك رغماً عني.»

قال لها: «لماذا قبلتي؟»

أجابت: «لا أود خسارة كلاكما، لم أستطع... أنا أم واقترفت ذنباً بإبعادك عني لكني كنت على يقين بأنك ستعيش حياة لم أكن أستطيع أن أوفرها لك، عليك أن تفهم هذا.»

قال لها بكل برود: «لكن لم يوفر لي الحب الذي أعطيته لماكس أو لمادلين وعليهما أن يدفعا ثمن ذلك الحب الذي كان من المتوجب أن يكون لي نصيب منه.»

قالت كلير بتحدٍ: «اياك والاقتراب منهما، ليس لهما علاقة في هذا الأمر... ان أردت أن تفعل شيء فأفعله بي.»

قـال: «لا أسـتطيع فالجميـع عليـه أن يـذوق مـرارة عـدم الشعور بالحب الصادق.»

نهـض أنـدرو مـن مكانـه وتقـدم باتجـاه كليـر، أخـرج السـكينة ودخل معهـا فـي شـجارٍ عنيـف، خلالهـا اسـتطاع أن يتسـبب فـي جرحـاً عميقـاً علـى رأسـها بعـد أن دفعهـا نحـو الطاولـة، بعـد ذلـك سـدد لهـا عـدة طعنتيـن فـي معدتهـا لأنهـا اسـتطاعت أن تنهـض بالرغـم مـن الفجـوة فـي رأسـها التـي تسـيل منهـا دمائهـا. رمـى السـكينة بعيـداً واقتـرب منهـا وهـو يمـرر أصابعـه علـى خدهـا، يمتـص الحـب الـذي لـم يتلقـاه، شـعر بأنفاسـها وعلـم أنهـا لـم تمـت بعـد. شـعر بالغضـب نقـل جسـده فوقهـا، وضـع قبضتيـه علـى رقبتهـا وراح يضغـط عليهـا بـكل قـوة دون أي مقاومـة مـن كليـر، بعـد دقائـق تركهـا وغادر المبنى الذي تقطن فيه كليـر تاركاً جثتها هناك.

- النهاية -

إصدارات أخرى للكاتب

- السطر الأخير
- شرارة الماضي
- غيهب الحياة
- أحلام هاربة
- نهج كفيف
- صراخ على الحافة
- مجرة الرعب

zayed.almarzooqi3@gmail.com
ZayedBashir
zayed_almarzooqi97
zayed_al